النهضة الحسينية
والنواصب

النهضة الحسينية
والنواصب

السيد محمد حسن ترحيني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين.

هذا الكتاب كان فصلاً من فصول كتاب النهضة الحسينية ، وآثرت وضعه في كتابٍ مستقلٍ لتسهيل عموم الانتفاع به ، جعله الله لي ذخراً يوم ألقاه.

ما فعله النواصب طمساً للنهضة الحسينية ومحاربة لشعائرها

النصب لغةً هو العداء، وأُطلق بين المسلمين على من ينصب العداء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، سواء تجاهر به أم لا، سواء جعله ديناً يتقرب به إلى الله أم لا.

وهذا العداء يستدعي عداءً لذريته خصوصاً المعصومين منهم (عليهم السلام)، ويستدعي عداءً لشيعته، ففي خبر عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله(عليه السلام) (ليس الناصب من نَصَبَ لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلاً يقول:

أنا أبغض محمد أو آل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا، وأنكم من شيعتنا) الوسائل ج ٦ ص ٣٣٩، حديث ٣، باب٢ من أبواب ما يجب فيه الخمس.

والخبر محمول على وقت صدوره، وإلا ففي الزمن السابق عليه كان بغض امير المؤمنين(عليه السلام) مُصّرحاً به، بل سنّوا لعنه على المنابر والمنائر.

وصبّ النواصب همّهم على أمور، أهمها إثنان:

الأول: على أمير المؤمنين(عليه السلام)، في عدم التسمية باسمه، وعدم

نقل فضائله ومناقبه، وتأويل أدلة إمامته، والإعراض عن محبّيه وشيعته، بل الهجوم عليهم جسدياً وفكرياً، والتسمية باسماء أعدائه، ونحت فضائل ومناقب مزعومة لهم، والافتراء على الله ورسوله في وضع أدلة تدل على صحة خلافتهم، والتمسك بمبغضيه، وتقريبهم إلى المناصب السياسية والقضائية والاجتماعية، مع التزام بترك كل ما هو مشروع ومسنون إذا كان صادراً منه عليه السلام، أو أصبح رمزاً له أو له علاقة فيه، مع التمسك بكل ما هو مكذوب وموضوع صادرٍ من أعدائه بعنوان أنه من دين الله جلّ وعلا.

الثاني: على سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام، وهو الذي يدخل في موضوع كتابنا، فهجوم النواصب تارة بتحريف أخبار النهضة، راجع الأمر الثاني من خلاصة القسم الأول من هذا الكتاب ج ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢.

وأخرى بحذف أخبارها بالتمام، كما في تاريخ ابن زرعة المتوفي سنة ٢٨١ هـ، وثالثة بالتصريح بإثم الامام عليه السلام في نهضته أو خطئه، ورابعة بتحريم لعن يزيد وأنه غير عارف ولا راضٍ بقتل سيد الشهداء، وخامسة بتحريم قراءة مقتل الامام الحسين عليه السلام ومحاربة الشعائر، وسادسة بمنع زيارته ومحاولة طمس معالم قبره، وسابعة بجعل يوم عاشوراء يوم عيد وتبرك مع إقامة سنن الفرح والسرور.

مع العلم أن هذا الهجوم الناصبي ابتدأ في زمن الامويين، وما زال إلى عصرنا الحاضر، باستغلال قوة السلطة والقلم والخطابة، متلوّناً بأشكال تبعاً لمقتضيات العصر وثقافته وأنماطه وسلوكه.

وهذه الروح الناصبية التي لم تبصر نور الحق الحسيني نسميها بالروح الاموية، لأنهم الاساس في ذلك.

الخطأ المزعوم للامام المعصوم

ذكرنا سابقاً في الأمر الثاني من خلاصة القسم الأول من هذا الكتاب ج ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢ عن بعضهم التصريح بخطأ الامام عليه السلام مع كثرة الناصحين له بعدم الخروج، وكان هذا بالنظر إلى المؤرخين وأصحاب التراجم، وأما بالنسبة للمحلّلين الذين كثروا في عصورنا الحاضرة بعدما غلب التحليل العشوائي على روايات التاريخ في هذه الازمنة فهجمة النواصب أشد وأمرّ وعلى كلٍ قال ابن تيمية في منهاج السنة ج ٢ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨:

(وصار الناس في قتل الحسين رضي الله عنه ثلاثة أصناف، طرفين ووسطاً، أحد الطرفين يقول: إنه قُتل بحق، فإنه أراد أن يشق عصا المسلمين، ويفرّق الجماعة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: من جاءكم وأمركم على رجلٍ واحد، يريد أن يُفرّق جماعتكم فاقتلوه، قالوا:

والحسين جاء وأمر المسلمين على رجلٍ واحدٍ، فأراد أن يُفرق جماعتهم، وقال بعض هؤلاء: هو أول خارج خرج في الاسلام على ولاة الأمر.

والطرف الآخر قالوا: بل كان هو الامام الواجب طاعته، الذي لا ينفذ أمرٌ من أمور الايمان إلا به، ولا تُصلي جماعة ولا جمعة إلا

خلف من يُولّيه ولا يُجاهد عدوٌ إلا باذنه ونحو ذلك.

وأما الوسط فهم أهل السنة الذين لا يقولون هذا ولا هذا، بل يقولون قُتل مظلوماً شهيداً، ولم يكن مولياً أمر الامة، والحديث المذكور لا يتناوله، فإنه لما بلغه ما فُعل بابن عمه مسلم بن عقيل ترك طلب الامر، وطلب أن يذهب إلى يزيد أو إلى الثغر أو إلى بلده، فلم يمكّنوه، وطلبوا منه أن يستأسر لهم، وهذا لم يكن واجباً عليه) انتهى، وقال في نفس المصدر ص ٢٥٦:

(فهذا الغلو الزائد يُقابل بغلو الناصبة، الذين يزعمون أن الحسين كان خارجياً، وأنه كان يجوز قتله، لقوله صلى الله عليه وسلم: من أتاكم وأمركم على رجلٍ واحد، يريد أن يُفرّق جماعتكم، فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان، رواه مسلم.

وأهل السنة والجماعة يردّون غلوّ هؤلاء وهؤلاء، ويقولون: إن الحسين قُتل مظلوماً شهيداً، والذين قتلوه كانوا ظالمين معتدين، وأحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم التي يأمر فيها بقتل المفارق للجماعة لم تتناوله، فإنه رضى الله عنه لم يفارق الجماعة، ولم يُقتل إلا وهو طالب الرجوع إلى بلده أو إلى الثغر أو إلى يزيد، داخلاً في الجماعة مُعرضاً عن التفريق بين الامة.

ولو كان طالب ذلك أقل الناس لوجب إجابته إلى ذلك، فكيف لا تجب إجابة الحسين إلى ذلك، ولو كان الطالب لهذه الامور من هو دون الحسين لم يجز حبسه ولا إمساكه فضلاً عن أسره وقتله) انتهى.

أقول: ابن تيمية من أهل القرن الثامن، لأنه تُوفي سنة ٧٥٨،

واعترف بوجود نواصب تعتقد بجواز قتل الحسين عليه السلام، لأنه خارجٌ على سلطان زمانه.

ولم يصل إلينا من كلامهم إلا نتفٌ منها:

ما قاله أبو بكر بن العربي المالكي المتوفي سنة ٥٤٣ هـ من أهل القرن السادس حيث قال في كتابه (العواصم من القواصم) ص ٢٣٥ ـ ٢٤٧:

(فإن قيل: ولو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن علي.

قلنا: يا أسفاً على المصائب مرة، ويا أسفاً على مصيبة الحسين ألف مرة، بوله يجري على صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ كذا في المصدرمن الصلاة على الآل ـ ودمه يُراق على البوغاء ولا يُحقن ـ ثم ذكر نصيحة ابن عباس وابن عمر بعدم الخروج، إلى أن قال ـ :

وما خرج إليه أحدٌ إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، والمُحذّر عن الدخول في الفتن، واقواله في ذلك كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يُفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف، كائناً من كان) فما خرج الناس إلا بهذا وامثاله ـ إلى أن قال ـ :

(ولو كان للقيام وجهٌ لكان أولى بذلك أبن عباس).

وقال عنه ابن خلدون في مقدمته ص ١٧٢:

(وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا، فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم ما معناه: أن الحسين قُتل بشرع جده، وهو غلط، حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل، ومن أعدل

من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الاراء) انتهى.

وما زالت النواصب إلى يومنا الحاضر تشنّ حملاتها على سيد الشهداء عليه السلام، وإذا كان النواصب سابقاً يعلّلون الجواز بالخروج على سلطان زمانه، فالنواصب اليوم يزيدون في نعيقهم ويحملّونه مسؤولية ما جرى وما ترتب عليه من إنقسام بين المسلمين، وينسبون إليه عدم النظر في العواقب، وعدم التأني في العمل وأنه صاحب نزوة شخصية للاستيلاء على الملك، وأنه أغترّ بكتب أهل الكوفة فخرج، وأن أهل الكوفة شيعته قتلوه ثم ندموا وبكوه، واليك نصين من نصوصهم

الاول:

ما قاله الشيخ محمد الخضري في كتابه (تاريخ الامم الاسلامية) ج ٢ ص ١٢٩ ـ ١٣٠، بعد ما ذكر خلاصة مجريات النهضة تبعاً لما ارتأه من الاخبار:

(بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة التي أثارها عدم الاناة والتبصر في العواقب، فإن الحسين بن علي رمى بقول مشيريه جميعاً عرض الحائط، وظنّ بأهل العراق خيراً، هم أصحاب أبيه فقد كان أبوه خيراً عنه ـ كذا ولعله: منه ـ وأكثر عند الناس وجاهة، وكانت له بيعة في الاعناق، ومع كل ذلك لم ينفعوه، حتى تمنى في آخر حياته الخلاص منهم.

أما الحسين فلم تكن له بيعة، وكان في العراق عماله وامراؤه، فاغترّببعض كتبٍ، كتبها دعاة الفتن ومحبّو الشر، فحمل أهله وأولاده وسار إلى قوم ليس لهم عهد.

وانظروا كيف تألف الجيش الذي حاربه، هل كان إلا من أهل العراق وحدهم، الذين يرفعون عقيدتهم بأنهم شيعته علي بن أبي طالب؟

وعلى الجملة فإن الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا، الذي جرّ على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد إلفتها إلى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة، لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران في القلوب فيشتد تباعدها.

غاية ما في الأمر أن الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له، ولم يعدّ له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهى وقُتل دونه.

وقتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين ومن يبشع أمر قتله، ويزيد به نار العداوة تأجيجاً.

وقد ذهب الجميع إلى ربهم، يحاسبهم على ما فعلوا، والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة، وهي أنه لا ينبغي لمن يريد عظائم الامور أن يسير اليها بغير عدتها الطبيعية، فلا يرفع سيفه إلا إذا كان معه من القوة ما يكفل به النجاح أو يقرب من ذلك، كما أنه لا بدّ أن تكون هناك أسباب حقيقية لمصلحة الامة، بأن يكون هناك جور ظاهر لا يحتمل، وعسف شديد ينوء الناس بحمله.

أما الحسين فإنه خائف على يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف) انتهى.

النص الثاني:

ما قاله محمد عزة دروزة في كتابه (تاريخ الجنس العربي) ج ٨ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٧، المطبوع في سنة ١٩٨٣هـ ـ ١٩٦٤ م.

(وبعد فهذه قصة خروج الحسين رضي الله عنه، التي انتهت بمقتله المفجع، الذي كانت له على الاسلام والعرب آثار مشؤومة، غير أن الروايات المروية تُسوّغ بدون ريب استخراج نتائج عديدة معقولة منها:

أن خروج الحسين كان تمرداً على سلطان يزيد بن معاوية، الموطّد ببيعة جماهير المسلمين في مختلف الامصار، ومن جملتها العراق، ودعوةً إلى نقضها، وتحديداً لهذا السلطان، برغبة الحلول محل يزيد شخصياً وأسروياً تستمد بواعثها من اعتقاد شخصي بالافضلية والاولوية، المستند بالدرجة الأولى إلى كونه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن شخصية الحسين وصلتَه برسول الله هما اللتان أسبغتا على الحادث المعنى القدسي الذي اكتنفه، فأدى قتله إلى ما أدى إليه من مرارة وألم ونتائج مشؤومة، في حين أنه ليس هناك ما يبرر له ذلك من الوجهة الشرعية والقومية والسياسية.

فقد كان الحسين معترفاً بشرعية خلافة معاوية المستندة إلى بيعة جمهور أهل الحل والعقد العامة له، وبتنازل الحسن له، وبيعته هو وإخوته له، وهو يعرف أن خلافة يزيد مستندة إلى مثل هذه البيعة، ولا يجهل أن الخروج على الامام المستند إلى مثل هذه البيعة موضوع وعيدٍ وتنديدٍ نبويين شديدين.

وعدم مبايعته شخصياً ليزيد، وصلته برسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتقاده بأفضليته واولويته، بل والتسليم بذلك، لا يمكن أن يُبّرر له الخروج عليه والدعوة إلى نقض بيعته في نطاق توجيه الاحاديث النبوية العديدة.

وقد اعتبر اصحاب رسول الله ذلك منه تفريقاً للجماعة، وناشدوه

بتقوى الله في ذلك، على ما تفيده الروايات المروية عن ابن عباس وابن عمر، وما أُثر عنه، وسيق في مجال الدفاع عن كون خروجه إنما كان لمكافحة الظلم والانحراف وإحياء احكام كتاب الله وسنة رسوله التي ماتت إنما هو تبرير دعائي، لا يتسق مع الظروف والوقائع، فالحسين كان داخلاً في بيعة معاوية، وبالتالي معترفاً بشريعة خلافته.

ولم يكن قد مرّ على ولاية يزيد حينما امتنع من مبايعته، وخرج من المدينة، إلا أيامٌ قليلة، لم يروِ أحدٌ عنه حادثاً ما خلالها، فيه انحراف وبغي ومعصية ـ إلى أن قال ـ :

وكتابة الشيعة في العراق ودعوتهم أو بيعتهم له لا تُبرّر خروجه في حد ذاتها، بقطع النظر عن كونه خرج من المدينة، وهو مُبيّت النية على الخروج، لأن هناك إماماً مُبايعاً من قبل جمهور المسلمين، ومن جملتهم أهل العراق، وسلطانه مستتب، وحالة الدولة والمسلمين في كنفه حسنة ـ إلى أن قال ـ :

ومن هذه النتائج: أنه ليس هناك ما يُبرّر نسبة قتل الحسين إلى يزيد، فهو لم يأمر بقتاله فضلاً عن قتله، وكل ما أمر به أن يُحاط به ولا يُقاتل إلا إذا قاتل، ومثل هذا القول يصح بالنسبة لعبيد الله بن زياد، فكل ما أمر به أن يُحاط به لا يقاتل إلا إذا قاتل، وأن يؤتى به إليه ليضع يده في يده، أو يبايع يزيد صاحب البيعة الشرعية.

بل إن هذا ليصح قوله بالنسبة لإمراء القوات التي جرى بينها وبين الحسين وجماعته فقال، فإنهم ظلوا ملتزمين بما أُمروا به، بل وكانوا يرغبون أشدّ الرغبة في أن يعافيهم الله من الابتلاء بقتاله، فضلاً عن قتله، ويبذلون جهدهم في إقناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد.

فإذا كان الحسين أبى أن يستلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون، وقاوم بالقوة فمقابلته وقتاله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً.

وينطوي في هذا ردٌ حاسم على الحملة الشديدة التي يشنّها الشيعة منذ ثلاثة عشر قرناً على يزيد وابن زياد، وتكون مسؤولية ما وقع من الحادث المفجع المشؤوم ونتائجه عليه ـ أي على الحسين ـ بدون ريب.

ولقد تلقى نصائح كثيرة جداً في المدينة وفي مكة وفي الطريق، ومن أقاربه واوليائه ومحبيه بعدم الخروج، وتقوى الله في تفريق جماعة المسلمين وتعريض نفسه للقتل، ثم تيقن من انفضاض الناس عن مسلم، وتيقن أنه لا قِبَلَ له بقتال قوات الدولة، وكان في إمكانه الرجوع، لأنه تلقى الخبر قبل دخول العراق، ومع ذلك فقد أصرّ إصراراً يثير أشدّ العجب على موقفه، مما يزيد في عظم مسؤوليته.

وليس في نزوله على حكم سلطان الدولة نقص في دين ولا كرامة، فصاحب هذا السلطان إمام شرعي، وحسين على كل حال فرد من أمة المسلمين، ولو فعل لما أصابه أذى، ولنال التوقير والاحترام) انتهى.

وخلاصة الهجمة الناصبية أمور:

الاول: لا موجب لخروج الامامعليه السلام لعدم الجور والظلم من يزيد، لأنه لم تمضِ إلا أيام قليلة من خلافته.

ويردّه: أن الموجب للخروج هو غصب الخلافة من حين وفاة النبي الاعظمصلى الله عليه وآله وسلم مع تلاعب فيها تارة ببيعة شخص وأخرى بعهدٍ من السابق وثالثة بشورى بين ستة.

وتوقيت الخروج في زمن يزيد، لأن ولايته لم تكن بشورى بين المسلمين ولا برضاهم، بل كانت بحيل وكذب وترهيب من معاوية عندما أخذ له بيعة العهد في زمن حياته، وبهذا اصبحت الخلافة ملكاً عضوضاً بين بني أمية، اعداء الله ورسوله والشجرة الملعونة في القرآن.

فخروج الامام عليه السلام مع علمه بأن الاسباب الظاهرية مؤدية لقتله يوجب هزةً في نفوس المسلمين، ليراجعوا مفاهيمهم التي غرسها الغاصبون للخلافة، والمراجعة توجب بطلان القدسية التي أُعطيت لهؤلاء الخلفاء، وتوجب بطلان خلافتهم لآنها غصب، وتوجب وضوح الصورة في تلاعب بني أمية بالدين تبعاً لآهوائهم الشخصية، وأي جور وظلم اعظم وأكبر من جور وظلم التلاعب بالدين وأحكامه، والتلاعب بالامامة التي سنّها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنيه المعصومين عليهم السلام.

الثاني: الصحابة والاقارب نصحوه وناشدوه بتقوى الله بعدم الخروج.

ويرده: أن الذي نصحه هو ابن عباس وابن الحنفية فقط، وتكثير عدد الناصحين من الصحابة والتابعين فهو من التلاعب بأخبار النهضة.

ونصيحة ابن عباس وابن الحنفية تبعاً لرؤيتهما للاسباب الظاهرية التي كانت مؤدية لقتله، وهما معذوران لعدم اطلاعهما على ما يطلع عليه المعصوم من أمور مستقبلية من أن قتله هو خير وسيلة للهجوم على مدرسة الخلفاء المزعومة التي بنوا اطارها وحشوا مفاهيمها بالاكاذيب والاباطيل، ولذا علّل الامام عليه السلام لاحدهما بأن الله شاء أن يراه قتيلاً ويرى نساءه سبايا.

الثالث: أن يزيد لم يأمر بقتله ولا قتاله، وكذا ابن زياد، وقد خرج الحسين بنزعة شخصية أو أُسروية، أو بطلب من أهل العراق.

وعلى الأول والثاني فقد أخطأ خطأً عظيماً إذ خرج لأمرٍ عظيم ولم يمهدّ أسبابه، وعلى الثالث فأهل العراق شيعته كاتبوه فخذلوه ثم قتلوه، فلا ذنب على الأموي، بل الذنب على الشيعي.

بل لا ذنب على الجيش الذي قتله، إذ قاتلوه لإدخاله فيما دخل فيه المسلمون، فكل النتائج المترتبة على قتله يتحملها الحسين.

ويردّه: أن عدم طلب يزيد القتل ولا القتال، وكذا ابن زياد أمرٌ مكذوب، ويردّه الأخبار التي طلب فيها يزيد القتل وقطع الرأس، والتي طلب فيها ابن زياد بالإضافة إلى ذلك رضّ الصدر، وقد أوردناها في مظانها.

وأما أن الخروج بسبب كتب أهل العراق فيردّه: أنه خرج في أواخر رجب ووصلت إليه الكتب في شهر رمضان، فخروجه متقدم فكيف يُعلّل بالمتأخر وأما أن أهل العراق شيعة فيردّه ما قلناه سابقاً في مظانه من أن التشيع كان بذرة فردية فيهم قبل كربلاء، وأنهم شيعة آل ابي سفيان.

وأما أنه لا ذنب للجيش الذي قتل فيردّه قول بعض قواده بأن قتاله عليه السلام ضلال.

والمسلمون لم يدخلوا بتمامهم في بيعة يزيد، وعلى فرض التمام فليس برضاهم، ومع عدم الرضا فلا قيمة لهذا الدخول.

الرابع: خروج الحسين تمرد، لأن يزيد إمام شرعي.

ويردّه: أن الخروج بسبب غصب الخلافة من زمن السقيفة، الذي أخذ أشكالاً وألواناً، وأفظعها جعل الخلافة ملكاً عضوضاً لبني

أمية أعداء الله ورسوله، والحيلة والدهاء والرشوة والترهيب والكذب لا تجعل يزيد ولياً شرعياً، ودعوى أن الحسين معترف بشرعية خلافة معاوية، وخلافة يزيد مستندة اليها مردودة، إذ تسليم الأمر من الامام الحسن عليه السلام إلى معاوية لا يعطي معاوية شرعية بعدما كان متمرداً على أمير المؤمنين الذي نصّ عليه الله ورسوله، وبايعه المسلمون.

وقد سلم الامام الحسن عليه الأمر لعدم القدرة على المحاربة، بالاضافة إلى أن تسليم الأمر كان مشروطاً برجوعه إلى الحسن وإلا فإلى الحسين، فاين الشرعية لخلافة معاوية بعدما وضع هذه الشروط تحت قدميه كما صرح هو بذلك في أول خطبة له في الكوفة، وبعدما مارس كل أنواع الهجوم ضدّ عليّ وإمامته وبنيه وشيعته ليطفئ نوره، ويأبى الله إلا أن يتمه.

ومع غض البصر عن شرعية خلافة معاوية، فتلاعبه بأمور الدين وجعل الخلافة ملكاً عضوضاً لا يجعله شرعياً لأنه خليفة، إذ يجب على الخليفة تطبيق أحكام القرآن والسنة فقط، فدعوى استناد شرعية خلافة يزيد إلى شرعية خلافة معاوية ساقطة كسقوطهما.

الخامس: الذي يكتب في النهضة الحسينية بعد وقوعها على كثرتهم يريد إذكاء الفتنة بين المسلمين.

ويرده: أن الذي يذكى نار الفتنة هو المُصّر على إبقاء التلاعب بالدين على حاله، والمُصرّ على قلب الحقائق وجعل الغاصب مُحقاً، والظالم مظلوماً، والقاتل بريئاً، ثم الكثرة الكاتبة في النهضة الحسينية من غير الشيعة، ارادوا تحريفها وتزوير حقائقها، فتضطر شيعة علي عليه السلام إلى الردّ على هذه الافعال الشيطانية، بإبراز الحقائق وإبطال الاوهام.

والحاصل أن خروج سيد الشهداء عليه السلام بنفسه وعياله وأولاده وإخوته وبني عمومته ليبين للناس مدى إسلام المتسلطين وحقدهم وعدم إنسانيتهم وقد أفلح كل الفلاح في ذلك.

لأن مسلمي البلاد المفتوحة كانوا تبعاً لدعاية الخليفة الغاصب، يتصورون قداسة الخليفة لقداسة مقامه، وأن ما يصدر منه هو عين شرع الله ورسوله، وأن ما صدر من الجهاز المُقرَّب من الخليفة الغاصب هو عين ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبقتلهم الحسين عليه السلام ومن معه، وسبيّ نسائه تبيّن بطلان هذه الصورة المعطاة لهم، بل تبيّن مقدار حقدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه نبيّ استطاع أن يغلب كفرهم وجاهليتهم، وتبين مقدار انسلاخهم عن الإنسانية، فأصبح الخليفة بعد كربلاءَ ـ والناس معه، لأن الناس على دين ملوكهم ـ من دون غطاء إسلامي، وأصبح الاسلام الحقيقي من دون غطاء رسمي ولا شعبي.

فاضطر الخلفاء بعد كربلاء عبر جهازهم من الفقهاء والمحدثين بوضع إسلام يناسب مقامهم الغاصب، وشرع الائمة عليهم السلام بعد كر بلاء في توعية الناس للإسلام الحقيقي، من خلال الدعاء في زمن سيد الساجدين، ومن خلال بث العلم في زمن الباقريين، ومن خلال ترسيخ الشخصية الاسلامية في زمن بقية الائمة عليهم السلام إلى حين الغيبة، عجّل الله تعالى خروج صاحبها، وعليه وعلى آبائه أفضل الصلوات والتحيات.

ما تقدم هو عرض لما برز من الناصبة في الخطأ المزعوم للامام المعصوم عليه السلام، وهو بالواقع خطأ يحمل معنى الخطيئة والإثم، وهناك قول آخر لهم، وهو لجمهورهم على ما نسبه ابن تيمية إلى أهل السنة

في كلامه المتقدم في أول هذه الفقرة واليك عرض بعض كلامهم مع نقضه:

قال ابن تيمية في منهاج السنة ج ٢ ص ٢٤٨:

(وأما الوسط فهم أهل السنة الذين لا يقولون هذا ولا هذا، بل يقولون:

قُتل مظلوماً شهيداً، ولم يكن متولياً أمر الأمة، والحديث المذكور لا يتناوله، فإنه لما بلغه ما فُعل بابن عمه مسلم بن عقيل ترك طلب الأمر، وطلب أن يذهب إلى يزيد أو إلى الثغر أو إلى بلده فلم يمكنوه، وطلبوا منه أن يستأسر لهم، وهذا لم يكن واجباً عليه) انتهى.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة أيضاً ج ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢:

(ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة، للأحاديث الصحيحة الثابتة، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلقٌ كثير من أهل العلم والدين.

وباب قتال البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتبه بالقتال في الفتنة، وليس هذا موضع بسطه، ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الباب، واعتبر أيضاً اعتبار أولى الأبصار علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور، ولهذا لما أراد الحسين رضي الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر وابن عباس وابي بكر بن عبد الرحمان بن الحارث

بن هشام أن لا يخرج وغلب على ظنهم أنه يُقتل، حتى إن بعضهم قال: استودعك الله من قتيل.

وقال بعضهم: لولا الشناعة لأمسكتك ومنعتك من الخروج، وهم بذلك قاصدون نصيحته، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين، والله ورسوله.

إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى فتبين أن الأمر على ما قاله اولئك إذ لم يكن في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا.

بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشرّ لم يحصل منه شئ، بل زاد الشّر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار سبباً لشرٍ عظيم، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن).

وقال ابن خلدون في المقدمة ص ١٧١:

(وأما الحسين، فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين: أن يأتيهم فيقوموا بأمره، فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه، لا سيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته وشوكته.

فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة، وأما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها، لأن عصبية مُضر كانت في قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس لا ينكرونه ـ إلى أن قال ـ : فقد تبين لك غلط

الحسين، إلا أنه في أمرٍ دنيوي لا يضره الغلط فيه على ذلك، ولقد عذله ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيره إلى الكوفة، وعلموا غلطه في ذلك، ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراده الله) انتهى.

وقال السيد الجميلي في مقدمة كتابه الذي أورد فيه أخبار الطبري عن مجريات النهضة، وما قاله ابن تيمية في مدفن رأس الحسين عليه السلام، ص ٢١:

(إن الحسين بن علي رضي الله عنه قد أحسن الظن بالأعراب، فكان تعويله على خطاباتهم ورسلهم إليه ثقة مطلقة، لم يضع لها احتمالاً للخيانة أو الخديعة.

إصرار الحسين على الخروج رغم تحذير أقربائه واصحابه وناصحيه فلم يأخذ برأي أيّ منهم كانت نقطة عليه لا له وكأنه نسي قول جده صلى الله عليه وسلم: ما خاب من استخار وما ضل من استشار).

وخلاصة ما تقدم أمور:

الأول: أنه لما قُتل مسلم وعلم بذلك الإمام الحسين عليه السلام ترك طلب الأمر، وطلب الذهاب إلى يزيد أو إلى الثغر أو إلى بلده.

ويردّه: أن الإمام عليه السلام علم بمقتل مسلم قبل محاصرته من قبل جيش ابن زياد، ولو ترك طلب الأمر لرجع مع أنه استمر على الإقدام.

وأما طلب الذهاب إلى يزيد فمكذوب، نعم طلب الرجوع إلى بلده أو ثغر مع إباءه عن بيعة يزيد، وهم يريدون منه البيعة، وهذا كاشف عن أن رفضه للبيعة الذي رفضها قبل الخروج ما زال مستمراً،

وأن رفض البيعة رفض لكل ما زخرفته مدرسة الخلفاء على ما تقدم بيانه.

الثاني: أن الحسين عليه السلام قد دخل باب الفتن، وهو غير باب قتال أهل البغي، وغير باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وباب الفتن منهيٌ عنه، ولذا عندما خرج نهاه أكابر أهل العلم والدين، فلم يكن في خروجه مصلحة في دنيا ولا دين، بل ترتب على قتله شرٌ عظيم.

ويردّه **أولاً**: أن هذا القول الثاني لنفس صاحب القول، وهو ابن تيمية، مع نسبة الأول لجمهور أهل السنة وقد اختاره فمن أين أتي القول الثاني؟

ثانياً: لا فرق في النهي عن المنكر بين ظلم السلطان وظلم غيره، فهو مندرج تحت النهي عن المنكر، فدعوى المغايرة ليس في محلها، واما الأخبار التي لوّحوا بها من أنه لا يجوز الخروج على سلطان زمانه وإن كان ظالماً فهي على خلاف القرآن، وما كان خلافه فمضروب به عرض الحائط، والسبب في وضعها المحافظة على ملك خلفائهم الظالمين، وأنه شرعي وإن كان ظالماً، وأن الخارج عليه مأثوم وإن كان محقاً.

الثالث: أن الحسين غلط باعتبار عدم القدرة له، لأن الشوكة لبني أمية، إلا أنه غلط دنيوي.

ويردّه: أن الإمام عليه السلام أقدم على الخروج مع علمه بأن الأسباب مسوقة لقتله، وقتله سيترتب عليه فتح عظيم، وهذا مقدور عليه وقد أدى خروجه إلى القتل.

الرابع: أن ظن الحسين بمن كاتبه وراسله هو السبب في خطئه، لأنه لم يضع احتمالاً للخيانة أو الخديعة.

ويردّه: أن خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة بعد رفض البيعة قبل علم أهل الكوفة وقبل مكاتبتهم ورسلهم، فلم يكن خروجه بسبب كتبهم ورسلهم ليفوته احتمال خيانتهم أو خديعتهم.

والحاصل: أن العامة يريدون الحفاظ على قدسية الخلفاء الغاصبين، ويريدون عدم نسبة إثم القتل ليزيد، وفي الوقت نفسه لا يستطيعون نسبة الإثم لسيد الشهداء عليه السلام لكثرة الأحاديث النبوية الواردة في حقه عندهم، فكانت هذه التعاليل،إلا أنها غير متفق عليها بينهم.

لعن يزيد عليه لعائن ربي، بل كفره وخزيه

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ في ترجمة الكيا الهراسي:

(وقد أفتى الإمام أبو حامد الغزالي، رحمه الله تعالى، في مثل هذه المسألة، بخلاف ذلك، فإنه سُئل عمن صرح بلعن يزيد، هل يحكم بفسقه أم هل يكون ذلك مُرخّصاً فيه؟ وهل كان مريداً قتلَ الحسين رضي الله عنه؟ أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل، يُنعم بإزالة الإشتباه مُثاباً.

فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن مسلماً فهو الملعون، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلم ليس بلَعّان.

وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم، وقد ورد النهي عن ذلك، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم، ويزيد صحّ إسلامه، وما صحّ قتلُه الحسين رضي الله عنه، ولا أمره ولا رضاه بذلك،ومهما لم يصح ذلك منه لا يجوز أن يُظن ذلك به، فإن إساءة الظن بالمسلم أيضاً حرام، وقد قال تعالى:

(اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظنّ إثم) الحجرات آية ١٢.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه، وأن يُظن به ظنّ السوء.

ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين رضي الله عنه، أو رضي به فينبغي أن يُعلم به غاية حماقة، فإن من قُتل من الأكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله، ومن الذي رضي به، ومن الذي كرهه، لم يقدر على ذلك، وإن كان قد قُتل في جواره وزمانه وهو يشاهده، فكيف لو كان في بلد بعيد وزمن قديم قد انقضى.

فكيف يُعلم ذلك فيما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد؟ وقد تطرق التعصب في الواقعة فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب، فهذا أمرٌ لا يُعرف حقيقته أصلاً، وإذا لم يُعرف وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به.

ومع هذا فلو ثبت على مسلم أنه قتل مسلماً فمذهب أهل الحق ليس بكافر، والقتل ليس بكفر بل هو معصية، وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب في كفره لم تجز لعنته، فكيف من تاب عن قتل؟ وبِمَ يُعرف أن قاتل الحسين رضي الله عنه مات قبل التوبة؟وهو الذي يقبل التوبة عن عباده.

فإذن لا يجوز لعن أحدٍ ممن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له يوم القيامة: لِمَ لم تلعن إبليس، ويقال للاعن: لِمَ لعنت؟

ومن أين عرفت أنه مطرود ملعون؟ والملعون هو المبعد من الله

عزوجل، وذلك غيب لا يُعرف إلا فيمن مات كافراً، فإن ذلك عُلم بالشرع.

وأما الترحم عليه فهو جائز، بل هو مستحب، بل هو داخل في قولنا في كل صلاة: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه كان مؤمناً والله أعلم، كتبه الغزالي) انتهى.

قال الغزالي في إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٥:

(فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد، لأنه قاتل الحسين أو آمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يُقال: إنه قتله، أو أمر به ما لم يثبت، فضلاً عن اللعنة، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ـ إلى أن قال ـ:

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين لعنه الله؟ أو الآمر بقتله لعنه الله؟.

قلنا: الصواب أن يُقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله، لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة) انتهى.

وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ص ٣٣٣:

(وقال آخرون: لا يجوز لعنه، إذ لم يثبت عندنا ما يقتضيه، وبه أفتى الغزالي، وأطال في الانتصار له، وهذا هو اللائق بقواعد أئمتنا، بما صرحوا به من أنه لا يجوز أن يُلعن شخص بخصوصه، إلا إن عُلم موته على الكفر، كأبي جهل وأبي لهب، وأما من لم يعلم فيه ذلك، فلا يجوز لعنه) انتهى.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة ج ٢ ص٢٥٢:

(فمن أين يعلم الإنسان أن يزيد أو غيره من الظلمة لم يتب من

هذه، أو لم تكن له حسنات ماحية تمحو ظلمه، ولم يُبتل بمصائب تُكفّر عنه، وأن الله لا يغفر له ذلك، مع قوله تعالى: إن الله لا يغفر أن يشرك له، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم، وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد ـ إلى أن قال ـ :

ويقال: إن يزيد إنما غزا القسطنطينية لأجل هذا الحديث) انتهى.

وقال ابن تيمية في نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٦:

(الناس في يزيد طرفان ووسط، قوم يعتقدون أنه من الصحابة أو من الخلفاء الراشدين المهديين أو من الأنبياء، وهذا كله باطل، وقوم يعتقدون أنه كافر منافق في الباطن، وأنه كان له قصد في أخذ ثأر كفار أقاربه من أهل المدينة وبني هاشم وأنه أنشد:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت — تلك الرؤوس على ربى جيرون
نعق الغراب فقلت: نُح أو لا تنح — فلقد قضيت من النبي ديوني

وأنه تمثل بشعر ابن الزبعري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الاسل
قد قتلنا القرن من ساداتهم — وعدلناه ببدرٍ فاعتدل

وكلا القولين باطل، يعلم بطلانه كل عاقل، فإن الرجل ملك من ملوك المسلمين وخليفة من الخلفاء الملوك، لا هذا ولا هذا) انتهى.

وقال في نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٨:

(فإن أراد بذلك أنه أعتقد أنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فهذا لم يعتقده أحدٌ من العلماء المسلمين، وإن اعتقد مثل هذا بعض الجهال، كما يُحكى عن بعض الجهال من الأكراد ونحوهم أنه يعتقد أن يزيد من الصحابة، وعن بعضهم أنه من الأنبياء، وبعضهم يعتقد أنه من الخلفاء الراشدين المهتدين، فهؤلاء ليسوا من أهل العلم الذين يُحكى قولهم).

وقال في نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٩:

(وأما علماء السنة الذين لهم قولٌ يُحكى، فليس فيهم من يعتقد أن يزيد وأمثاله من الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، بل أهل السنة يقولون بالحديث الذي في السُنن: خلافة بالنبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً).

ونقل ابن حجر الهيثمي في صواعقه ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥، عن بعضهم فقال:(ثم رأيت ابن الصلاح من أكابر أئمتنا الفقهاء والمحدثين، قال في فتاويه لما سُئل عمن يلعنه، كونه أمر بقتل الحسين:

لم يصح عندنا أنه أمر بقتله رضي الله عنه، والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله كرّمه الله إنما هو عبيد الله بن زياد والي العراق إذ ذاك.

وأما سبّ يزيد ولعنه، فليس شأن المؤمنين، وإن صح أنه قتله أو أمر بقتله، وقد ورد في الحديث المحفوظ أن لعن المسلم كقتله، وقاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك، وإنما ارتكب إثماً عظيماً وإنما يكفر بالقتل قاتل نبيّ من الأنبياء.

والناس في يزيد ثلاث فرق: فرقة تتولاه وتحبه، وفرقة تسبّه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه، وتسلك به مسلك سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك.

وهذه الفرقة هي المُصيبة، ومذهبُها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين، ويعلم قواعد الشريعة المطهرة، جعلنا الله من أخيار أهلها آمين.

انتهى لفظه بحروفه وهو نصٌّ فيما ذكرته، وفي الأنوار من كتب أئمتنا المتأخرين: والباغون ليسوا بفسقة ولا كفرة، ولكنهم مخطئون فيما يفعلونه ويذهبون إليه، ولا يجوز الطعن في معاوية، لأنه من كبار الصحابة، ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره، فإنه من جملة المؤمنين، وأمره إلى مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، قاله الغزالي والمتولي وغيرهما) انتهى.

خلاصة ما تقدم: أن يزيد خليفة وملك من ملوك المسلمين فلا يجوز لعنه، لأنه لم يثبت أمره بقتال الحسين، وعلى فرض الثبوت فلا يجوز لعنه أيضاً لاحتمال توبته قبل موته، أو احتمال وجود حسناتٍ له تمحو ظلمه، أو احتمال ابتلائه بما يُكفّر عنه هذا الإثم، أو احتمال غفران الله له، لعموم مغفرة الله، قال تعالى:

(إن الله لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء آية ٤٨، والقاعدة في اللعن عندهم أنه لا يجوز لعن شخص بخصوصه إلا إذا علم موته على الكفر.

وهذا لم يثبت في حق يزيد، بل ثبت في صحيح البخاري أن جيش القسطنطينية مغفور له، ويزيد كان أميرهم، على أن قتل الحسين

لا يوجب الكفر، إذ الموجب للكفر في القتل هو قتل نبي من الأنبياء.

هذا بالإضافة إلى أن اللعن ليس من شأن المؤمنين، بل اللعن مساوق للقتل، كما في الحديث المحفوظ، ولعن المسلم كقتله فلا يجوز لعن يزيد.

يزيد قاتل الحسين عليه السلام

أقول: (أما أن يزيد لم يأمر بقتال الإمام الحسين عليه السلام أو قتله) فمردود للنصوص التاريخية نكتفي منها بما يلي:

في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٨ أورد رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة واليه على المدينة: (فلما قدم دمشق كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وهو عامل المدينة، إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فخُذهما بالبيعة، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إلي برؤوسهما).

وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٩، أورد رسالة يزيد لابن زياد بعد توليته العراقين:(قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلي الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم، وقد بُلي بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته وإلا رجعت إلى نسبك، وإلى أبيك عُبيد، فاحذر أن يفوتك).

وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦، رسالة ابن عباس ليزيد بعد مقتل أبي عبد الله عليه السلام يندّد فيها أفعاله، منها:

(وسألتني أن أحثّ الناس عليك وأُخذّلهم عن ابن الزبير، فلا، ولا سروراً ولا حبوراً، وأنت قتلت الحسين بن علي ـ إلى أن قال ـ:

لا تحسبني ـ لا أباً لك ـ نسيتُ قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب، مصابيح الدجى ونجوم الأعلام ـ إلى أن قال ـ :

وما أنسى من الأشياء فلستُ ناسٍ اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله ﷺ إلى حرم الله، ودسّك إليه الرجال تختاله، فاشخصته من حرم رسول الله إلى الكوفة فخرج منها خائفاً يترقب ـ إلى أن قال ـ :

ثم إنك الكاتب إلى ابن مرجانه أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته وتركك مطاولته، والإلحاح عليه حتى يقتله ومَنْ معه من بني عبد المطلب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ـ إلى أن قال ـ :

ومن أعجب الأعاجيب ـ وما عشت أراك الدهر العجيب ـ حملُك بنات عبد المطلب وغلمةً صغاراً من ولده إليك بالشام، كالسبي المجلوب تُرى الناس أنك قهرتنا وأنك تأمّرت علينا).

ومع غض البصر عن الأمر بالقتل والقتال فقد أظهر يزيد لعنه الله الشماتة بقتل سيد الشهداء عليه السلام، ففي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٢:

(ووُضع الرأس بين يدي يزيد، فجعل يزيد يقرع ثناياه بالقضيب)، وفي تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٦٥: (ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب فهو ينكث به في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيّانا كما قال الحصين بن الحُمَام المُرّيّ:

يُفلّقن هاماً من رجالٍ أحبةٍ　　إلينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقال

له، أبو برزة الأسلمي: أتنكث بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبُك من ثغره مأخذاً، لربّما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه، أما إنك يا يزيد تجئ يومَ القيامة وابنُ زياد شفيعك، ويجئ هذا يومَ القيامة ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه، ثم قام قولى). ومع الغضْ عن ذلك فلو لم يكن راضياً بقتله لكان عليه أن يقتصّ من ابن زياد، مع أنه قد حَسُن حاله عند يزيد بعد القتل، ففي كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٨٧: (ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسُنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل).

وفي مروج الذهب ج٣ ص ٢٦٥:

(وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابنُ زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

اسقني شربةً تُرّوي مشاشي ثم مِل فاسْقِ مثلَها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنّوا به).

سوء حال يزيد

وأقول: وأما أنه على فرض ثبوت الأمر بالقتل فلعلّ كان له حسنة تمحو ذلك أو توبة أو ابتلاءُ يكفّر عنه هذا الإثم) فمردود لما هو المعروف من حاله الدائم على الفسق والمجون، ففي مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٤ ـ ٢٧٠:

(وكان يزيد صاحب طَرَبٍ وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشرب ـ إلى أن قال ـ : وغلب على أصحاب يزيد وعُمّاله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغِناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب.

وكان له قرد، يُكنّى بأبي قَيْس، يُحضره مجلس منادمته، ويطرح له مُتكأ، وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذُلّلت لذلك، بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الأيام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعلى أبي قيس قباءٌ من الحرير الأحمر والأصفر مشمّر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر مُلمع بأنواع الألوان، فقال في ذلك اليوم بعض شعراء الشام:

تمسّك أبا قيس بفضل عنانها   فليس عليها إن سقطت ضمان
ألا من رأى القرد الذي سبقت به   جيادَ أمير المؤمنين أتانُ

ـ إلى أن قال ـ :

ولما شمل الناسَ جورُ يزيد وعمّاله، وعمّهم ظُلمه، وما ظهر من فسقه، ومن قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره، وما أظهر من شرب الخمور، وسار سيرة فرعونية، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصّته وعامّته أخرج أهل المدينة عامَله عليهم ـ إلى أن قال ـ :

وليزيد وغيره أخبار عجيبة ومقالب كثيرة من شرب الخمور وقتل ابن الرسول ولعن الوصيّ، وهدم البيت وإحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور، وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه).

وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٩٩: (كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء، والصيد واتخاذ القيان والغلمان، والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود، والمعاقرة بالكلاب والديكة، ثم جرى على يده قتلُ الحسين، وقتلُ أهل الحرة، ورمي البيت وإحراقه)

وفي نفس المصدر ص ٣٠٠: (كان ليزيد بن معاوية قرد، يجعله بين يديه، ويكنيه أبا قيس، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمُسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع، وكان يحمله على أتان وحشية، ويرسلها مع الخيل فيسبقها، فحمله عليها يوماً وجعل يقول:

تَمسّكْ أبا قيس بفضل عنانها   فليس عليها إن هَلكتَ ضمان

فقد سبقت خيلَ الجماعة كلَّها   وخيلَ أمير المؤمنين أتانُ)

وفي نفس المصدر ص ٣٠٠:

(وكان يزيد هَمّ بالحج ثم إتيان اليمن، فقال رجلٌ من تنوخ:

يـزيـدُ صـديـقُ قـلّ جـوارنـا　　فـحـنّ إلـى أرض الـقـرود يـزيـدُ
فتبـاً لـمـن أمـس علـينـا خلـيفـة　　صـحـابـتُـه ألادنـون مـنـه قـرود)

وفي نفس المصدر ص ٣٠٢:

(وكان يزيد آدمَ جعداً معصوباً، أحور العينين طُوالاً، بوجهه أثر جُدري).

والمعصوب من اتسخت أسنانه من غبار ونحوه، وفي هذا بيانٌ لاستهتار يزيد بسلوكه وبدنه، فضلاً عن استهتاره بالشرع الحنيف، ففي فوات الوفيات ج ٤ ص ٣٣٣:

(ولما تحقق معاوية أن يزيد يشرب الخمر عزّ عليه ذلك وأنكر عليه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر، وإنك تقدر على بلوغ لذتك في ستر.

فتماسك عن الشرب ثم دعته نفسه لما اعتاده، فجلس على شرابه، فلما استخفّه الخمر وداخله الطرب قال يشير إلى أبيه:

أمنْ شربةٍ من ماء كـرمٍ شربتُـها　　غضبتَ عليّ؟ ألان طاب لي السكرُ
سأشربُ فاغضب لا رضيت كلاهما　　حبيب إلى قلبي: عقوقك الخمر)

هذا فضلاً عن استهتاره بالإسلام والمسلمين ففي فوات الوفيات ج ٤ ص ٣٣١:

(مات قرد ليزيد بن معاوية كان يقال له: أبا قيس، فحزن عليه، وأمر بدفنه بعد أن كفّنه، وأمر أهل الشام أن يعزّوه فيه، وأنشأ يقول:

لـم يـبـقَ قـرَمٌ كـريـمٌ ذو مـحـافظة　　إلا أتـانـا يُـعـزّي فـي أبـي قـيـس

شيخُ العشيرة أمضاها وأحملها إلى المساعي مع القربوس والدَّيسِ
لا يُبعدِ اللهُ قبراً أنتَ ساكنه فيه الجمال وفيه لحية التيس)

وفضلاً عن استهتاره بالله جلّ وعلاّ كما يستفاد مما أورده السعودي في مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ عندما أرسل يزيد جيشاً إلى ابن الزبير، فقال:

(وكتب إلى ابن الزبير:

أدعُ إلـهَك في السماء فإنني أدعو عليك رجالَ عكّ وأشعرِ
كيف النجاةُ أبا خُبيبٍ منهمُ فاحتلْ لنفسك قبل أتْي العسكرِ)

وفي الفخري ص ٨٣:

(ثم ملك بعده ابنه يزيد، كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر، والنساء والشعر ـ إلى أن قال ـ :كانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر، ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي، وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام، وفي السنة الثالثة غزا الكعبة).

وكيف تكون له حسنة وقد أورد ابن حجر الهيثمي الناصبي في كتاب الصواعق المحرقة ص ٣٣١ حديثين على عمل يزيد وهما:

(وعلى القول بأنه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج أبو يعلى في مسنده بسندٍ لكنه ضعيف، عن أبي عبيدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجلٌ من بني أمية، يقال له: يزيد.

وأخرج الروياني في مسنداً عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي

صلى الله عليه وسلم يقول: أول من يُبّدل سنتي رجلٌ من بني أمية يقال له: يزيد).

وفي نفس المصدر ص ٣٣٢: (وكان مع أبي هريرة رضي الله عنه علم من النبي صلى الله عليه وسلم بما مرّ عنه صلى الله عليه وسلم في يزيد، فإنه كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من رأس الستين، وإمارة الصبيان، فاستجاب الله فتوفاه له، سنة تسع وخمسين، وكانت وفاة معاوية وولاية ابنه سنة ستين، فعلم أبو هريرة بولاية يزيد في هذه السنة، فاستعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله بواسطة إعلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بذلك.

وقال نوفل بن أبي الفرات: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فذكر رجلٌ يزيد، فقال: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

فقال: تقول أمير المؤمنين؟ فأمر به فضُرب عشرين سوطاً.

ولإسرافه في المعاصي خلعه أهل المدينة، فقد أخرج الواقدي من طرق:

أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل ـ غسيل الملائكة ـ قال: واللهِ ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، إن كان رجلاً ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة.

وقال الذهبي: ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتدّ عليه الناس، وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك الله في عمره ـ إلى أن قال ـ وبعد اتفاقهم على فسقه).

ونقل ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨، في

ترجمة الكياهراسي، أنه سُئل عن يزيد معاوية، فقال:

(إنه لم يكن من الصحابة، لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما قول السلف، ففيه لأحمد قولان: تلويح وتصريح، ولمالك قولان: تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان: تلويح وتصريح ولنا قول واحد: التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنزد، والمتصيد بالفهود، ومدمن الخمر، وشعره في الخمر معلوم، ومنه قوله:

أقول لصحب ضمّت الكأسُ شملَهم ... وداعي صبا بات الهوى يترنم

خُذوا بنصيبٍ من نعيمٍ ولَذةٍ ... فكلٌ وإن طال المدى يتصرّمُ

ولا تتركوا يوم السرور إلى غدٍ ... فرُبَّ غدٍ يأتي بما ليس يعلم

وكتب فصلاً طويلاً، ثم قلب الورقة وكتب: لو مُددتُ ببياض لمَددتُ العِنان في مخازي هذا الرجل).

كفر يزيد

وأقول: (وأما أنه على فرض ثبوت أمره بالقتل فلعلّ رحمة الله تدركه، لأن الله يغفر لمن يشاء دون الشرك) ففيه:

أن مغفرة الله للمسلم، ويزيد كافر لعنه الله وأخزاه، قال السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٢٦٠ ـ ٢٦١:

(وقال جدي: ـ ابن الخوزي ـ ليس العجب من قتال ابن زياد والحسين، وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر، وحمل الرؤوس إليه، وإنما العجب من خذلان يزيد، وضربه بالقضيب ثناياه، وحمل آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها، وإنشاده أبيات أبن الزبعري: ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا..

وردُه الرأس إلى المدينة، وقد ظنّ أنه تغيّرت ريحه، وما كان مقصوده إلا الفضيحة، وإظهار رايحة الرأس.

أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج، أليس بإجماع المسلمين أن الخوارج والبغاة يُكفّنون، ويُصلى عليهم ويدفنون؟

وكذا قول يزيد: لي أن أسبيكم، لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين، قولاً يقنع لقايله وفاعله باللعنة، ولو لم يكن في قلبه أحقاد

جاهلية وأضغان بدرية لاحترم الرأس لما وصل إليه، ولم يضربه بالقضيب، وكفّنه ودفنه، وأحسن إلى رسول الله.

قلت: والذي بدل على هذا أنه استدعى ابن زيادٍ إليه، وأعطاه أموالاً كثيرة، وتحفاً عظيمة، وقرّب مجلسه، ورفع منزلته، وأدخله على نسائه، وجعله نديمه، وسكر ليلة، وقال للمغنّي: غنّ، ثم قال يزيد بديهياً:

اسقني شربة تروّي فؤادي　　ثم مِلْ فاسْقِ مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي　　ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً　　ومبيد الأعداء والحُسّاد

وقال ابن عقيل: ومما يدل على كفره وزندقته، فضلاً عن سبّه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد، وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

عُلية هاتي وأعلني وترنمي　　بذلك إني لا أحب التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمى بها　　إلى أحدٍ حتى أقام البواكيا
ألا هاتِ فاسقيني على ذاك قهوةً　　تخيرها العنسي كرماً شاميا
إذا ما نظرنا في أمور قديمة　　وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن مُتّ يا أم الأحيمر فانكحي　　ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإن الذي حُدّثت عن يوم بعثتنا　　أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بدّ لي من أن أزور محمداً　　بمشمولة صفراء تروي عظاميا

قلت: ومنها ـ من أشعاره ـ قوله:

ولو لم يمسّ الأرضَ فاضلُ بُردها　　لما كان عندي مسحة في التيمم

ومنها: لما بدت تلك الحمول وأشرقت، وقد ذكرناها.

ومنها قوله:

معشر الندمان قوموا   واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام   واتركوا ذكر المغاني
أشغلتني نغمة العيدان   عن صوت الأذان
وتعوضت عن الحور   خموراً في الدنان

إلى غير ذلك مما نقلته من ديوانه، ولهذا تطرق إلى هذه الأمة العار بولايته عليها، حتى قال أبو العلاء المعري، يشير بالشنار إليها:

أرى الأيام تفعل كل نكرٍ   فما أنا في العجائب مستزيد
أليس قريشكم قتلت حسيناً   وكان على خلافتكم يزيد)

وقال السبط ابن الخوزي في تذكرة الخواص ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦:

(وأما المشهور عن يزيد في جميع الروايات: أنه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام، وجعل ينكث عليه بالخيزران، ويقول أبيات ابن الزبعري:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا   وقعة الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من ساد اتهم   وعدلنا قتل بدرٍ فاعتدل

(وفي نسخة: وعدلناه ببدر فاعتدل).

حكى القاضي أبو يعلى عن أحمد بن حنبل في كتاب (الوجهين والروايتين)، أنه قال: إن صحّ ذلك عن يزيد فقد فسق.

قال الشعبي: وزاد فيها يزيد، فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحيّ نزل
لستُ من خِندفٍ إن لم انتقم   من بني أحمد ما كان فعل

قال مجاهد: نافق.

وقال الزهري: لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظرة على جيرون، فأنشد لنفسه:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت   تلك الشموس على ربى جيرون
نعب الغراب فقلت: صُح أو لا تصح   فلقد قضيت من الغريم ديوني

(وفي نسخة: نعب الغراب فقلت: نُح أو لا تنح).

وذكر ابن أبي الدنيا: أنه لما نكث بالقضيب ثناياه أنشد لحصين بن الحمام المُرّيّ:

صبرنا وكان الصبر منّا سجية   بأسيافنا تفرين هاماً ومعصما
نُفلّق هاماً من رؤوس أحبةٍ   إلينا وهم كانوا أعق وأظلما

قال مجاهد: فو الله لم يبقَ في الناس أحدٌ إلا من سبّه وعابه وتركه.

قال ابن أبي الدنيا: وكان عنده أبو برزة السلمي، فقال له: يا يزيد، ارفع قضيبك، فواللهِ لطال ما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل ثناياه.

وذكر البلاذري: أن الذي كان عند يزيد، وقال هذه المقالة أنس بن مالك، وهو غلطٌ من البلاذري، لأن أنساً كان بالكوفة عند ابن زياد، ولما جئ بالرأس بكى، وقد ذكرناه.

وقال هشام: لما أنشد يزيد الأبيات، قال له علي بن الحسين: بل ما قال الله أولى: ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها.

فقال يزيد: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). وأورد ابن أبي الحديد في شرحه ج ١٤ ص ٢٧٨ ـ ٢٨١ قصيدة ابن الزبعري التي قال بعد معركة أحد، وفيها: (ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا)، ثم قال عن هذا البيت: (إنما قاله يزيد متمثلاً لما حُمل إليه رأس الحسين عليه السلام، وهو لابن الزبعري).

وقال البيروني المتوفى ٤٤٠ هـ في الآثار الباقية ص ٢٩٤:

(صفر: في اليوم الأول أُدخل رأس الحسين عليه السلام مدينة دمشق، فوضعه بين يديه، ونقر ثناياه بقضيب كان في يده، وهو يقول:

لستُ من خِنْدفٍ إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل
ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا   جزعَ الخزرج من وقع الأسل
فأهلّوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا: يا يزيد لا تَسَل
قد قتلنا القرن من أشياخهم   وعدلناه ببدرٍ فاعتدل)

وقال الالوسي في تفسيره (روح المعاني) ج ٢٦ ص ٧٢ في تفسير قوله تعالى:

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم) محمد آية ٢٣

(وعلى هذا القول لا توقف في لعن يزيد، لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه، ويكفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكة، فقد روى الطبراني بسند حسن: (اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرفاً ولا عدلاً)

والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت، ورضاه بقتل الحسين على

جده وعليه الصلاة والسلام، واستبشاره بذلك، وإهانته لأهل بيته، مما تواتَر معناه وإن كانت تفاصيله آحادا.

وفي الحديث: (ستة لعنتهم: (وفي رواية: لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة) المُحرّف لكتاب الله (وفي رواية: الزائد في كتاب الله) والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليعزّ من أذلّ الله، ويذلّ من أعزّ الله، والمستحلّ من عترتي، والتارك لسنتي)

وقد جزم بكفره وصرح بلعنه جماعةٌ من العلماء،منهم الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى، وقال العلامة التفتازاني:

لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه، لعنة الله تعالى عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

وممن صرح بلعنه الجلال السيوطي عليه الرحمة، وفي تاريخ ابن الوردي، وكتاب الوافي بالوفيات: أن السبي لما ورد من العراق على يزيد، خرج فلقى الأطفال والنساء من ذرية علي والحسين رضي الله عنهما، والرؤوس على أطراف الرماح، وقد أشرفوا على ثنية جيرون، فلما رآهم نعب الغراب، فانشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت   تلك الرؤوس على ربى جيرون

نعب الغراب فقلت: قل أو لا تقل   فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني أنه قتل بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ كجده عتبة وخاله ولد عتبة، وغيرهما، وهذا كفر صريحٌ، فإذا صحّ عنه فقد كفر به، ومثلُه تمثله بقول عبد الله بن الزبعري قبل إسلامه: ليت أشياخي... الأبيات.

إلى أن قال ـ :

قال ابن الجوزي عليه الرحمة في كتابه (السر المصون): من الاعتقادات العامة التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة أن يقولوا: إن يزيد كان على الصواب، وأن الحسين رضي الله عنه أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السّير لعلموا كيف عُقدت له البيعة، وأُلزم الناس بها، ولقد فعل في ذلك كل قبيح، ثم لو قدرنا صحة عقد البيعة فقد بدت منه بوادٍ، كلها توجب فسخ العقد.

ولا يميل إلى ذلك إلا كلُ جاهل، عامي المذهب، يظن أنه يغيظ بذلك الرافضة.

هذا ويعلم من جميع ما ذكره اختلاف الناس في أمره، فمنهم من يقول: هو مسلم عاصٍ بما صدر منه مع العترة الطاهرة، لكن لا يجوز لعنه.

ومنهم من يقول: هو كذلك ويجوز لعنه مع الكراهة أو بدونها.

ومنهم من يقول: هو كافر ملعون.

ومنهم من يقول: إنه لم يعصِ بذلك ولا يجوز لعنه، وقائل هذا ينبغي أن ينظم في سلسلة أنصار يزيد.

وأنا أقول: الذي يغلب على ظني أن الخبيث لم يكن مصدقاً برسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وأن مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى، وأهل حرم نبيه عليه الصلاة والسلام، وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قذر.

ولا أظن أن أمره كان خافياً على أجلّة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين، لم يسعهم إلا الصبر، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولو سلم أن الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين.

والظاهر أنه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه، ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة، فلعنة الله عز وجل عليهم أجمعين وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم، ومن مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عينٌ على أبي عبد الله الحسين ويعجبني قول شاعر العصر، ذو الفضل الجلي، عبد الباقي أفندي العمري الموصلي، وقد سُئل عن لعن يزيد اللعين:

يزيد على لعني عريضٌ جنابه فاغدو به طول المدى ألعن اللعنا)

وقال بعضهم:

اذكر اللعن إن لعنت يزيد إنما اللعنُ شأن ذاك اللعين

ومن كلامه المتقدم تعرف حال كلام الغزالي، عندما منع من لعنه، وحكم بأنه من المؤمنين، وأن الترحم عليه مستحب، بل هذا الصادر من الغزالي يكشف عن سوء سريرته وانحرافه عن الدين، وهذا في عهدة من يتكلم في الكشف والشهود في عصورنا الحاضرة من الشيعة، ويدعو إلى الأخذ بقول الغزالي في المجال المذكور.

جواز لعن المسلم الفاسق ولعن بني أمية

وأقول: (وأما أن القاعدة عدم جواز لعن المسلم إلا إذا مات على الكفر)

ففيه: أن اللعن بمعنى الإبعاد والطرد عن الخير كما عن معجم متن اللغة ج ٥ ص ١٨٧، واللعن بهذا المعنى ثبت للمسلم غير الكافر عند فعله بعض المعاصي، قال تعالى: (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدنيا والآخرة) النور آية ٢٣.

وقال تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين) هود آية ١٨.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢١٢، وعن ابن عباس:

لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) نفس المصدر ج ٧ ص ٢٠٥، وفي خبرٍ:

(قلت لأنس: أحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؟ قال: نعم ما بين كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) نفس المصدر ج ٩ ص ١٢٣، ويزيد عليه اللعنة من الظالمين وقد أحدث في المدينة حدثاً

استباحها ثلاثة أيام بعد قتل أكابر الصحابة والتابعين فيها فهو ملعون بالنص القرآني والنبوي.

ومن الغريب على ما في مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم ص ٣٥، نقلاً عن طبقات الحنابلة لابن رجب ج ٢ ص ٣٤:

(ما أفتى به عبد الغني المقدسي حين سُئل عن يزيد، فقال: خلافته صحيحة، لأن ستين صحابياً بايعه، منهم ابن عمر، ومن لم يحبه لا يُنكر عليه، لأنه ليس من الصحابة، وإنما يُمنع من لعنه خوفاً من التسلق إلى أبيه وسداً لباب الفتنة).

وفيه: أنه ردّ لكتاب الله، قال تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، والشجرة الملعونة في القرآن) الإسراء آية ٦٠.

وأورد السيوطي في الدر المثنور ج ٤ ص ٣٤٦ في ذيل هذه الآية أخباراً في تفسيرها، منها:

(وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُريت بني أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم،

فتجدونهم أرباب سوء، واهتمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، فأنزل الله: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.

وأخرج ابن مردوديه،عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح وهو مهموم، فقيل: ما لك يا رسول الله؟

فقال: إني أُريت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا، فقيل: يا رسول الله، لا تهتم، فإنهم دنيا تنالهم، فأنزل الله:

وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردوديه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر، عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: إنما هي دنيا أعطوها، فقرّت عينه، وهي قوله: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، يعني بلاء الناس)

وأورد الطبري في تاريخه ج ١٠ ص ٥٤ ـ ٦٢ في حوادث سنة ٢٨٤، كتاب المعتضد في شأن بني أمية ومن جملته:

(وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشرَ الناس: بأن الله عز وجل لما ابتعث محمداً بدينه وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه وأنذرهم وبشّرهم ونصَحَ لهم وأرشدهم فكان من استجاب له وصدّق قوله واتبع أمره نفر يسير من بني أبيه... فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين ـ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ـ ومعدن الحكمة وورثة النبوة وموضع الخلافة وأوجب لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن عانده ونابذه وكذّبه وحاربه... وأشدّهم في ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة، وأولهم في كل حرب ومناصَبة، لا يُرفع على الإسلام رايةٌ إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب من بدرٍ وأحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية، الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع لما في علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم... فمما لعنهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتاباً قوله: والشجرة الملعونة في القرآن ونُخوّفهم فما يزيدهم إلا

طغياناً كبيراً، ولا اختلاف بين أحدٍ أنه أراد بها بني أمية.

ومنه قول الرسولﷺ وقد رآه مقبلاً على حمارٍ، ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: لعن الله القائد والراكب والسائق، ـ إلى أن قال ـ ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال: إن معاوية في تابوت من نارٍ في أسفل دركٍ منها ينادي: يا حنّان يا منان، الآن وقد عصيتُ قبلُ وكنتُ من المفسدين.

إلى أن قال ـ ومنه: إيثاره بدين الله، ودعاؤه عبادَ الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة، وهو يعلم سفهته ويطلع على خبثه ورَهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلما تمكن منه ما مكنّه منه ووطأه له، وعصى الله ورسوله فيه طلب بثارات المشركين وطوائفهم عند المسلمين.فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم تكن في الإسلام أشنعُ منها ولا أفحش، مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عَبَدَ ـ غضب ـ نفسه وغليله، وظن أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النّوى ـ الحاجة ـ لاعداء الله، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا   جزَع الخرج من وقع الاسلْ
قد قتلنا القوم من ساداتكم   وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل
فأهلوا واستهلّوا فرحاً   ثم قالوا: يا يزيد لا تَسَلْ
لستُ من خندفٍ إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل
ولعت هاشم بالملك فلا   خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه، ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله.

ثم من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما احترم سفكُه دم الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع موقعِهِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكانته منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجتراء على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته.

ـ إلى أن قال ـ اللهم العن أبا سفيان بن حرب، ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده، اللهم العن أئمة الكفر، وقادة الضلالة واعداء الدين ومجاهدي الرسول، ومغيّري الأحكام، ومبدّلي الكتاب وسفّاكي الدم الحرام.

اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاة أعدائك، ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلتَ: لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليومِ الآخر يُوادّون من حادّ الله ورسوله ـ المجادلة آية ٢٢ ـ).

وبعد هذه النصوص القرآنية والنبوية وأقوال بعض أئمتهم، ومنهم من عُرف بالنصب لأمير المؤمنين عليه السلام الدالة على لعن بني أمية ويزيد، فَمَ يُقال لمحب الدين الخطيب؟ الذي علّق على كتاب العواصم والقواصم ص ٢٣٤ عندما قال: (ومن خطب يزيد الدالة على حصافة عقله وحسن بصيرته وتقواه) وعندما قال في تعليقة أخرى ص ٢٣٣:

(إن الذين نسبوا ليزيد ما لا يحلّ هم الرافضة للتوصل إلى التشكيك بالقرآن، من وراء الطعن بمعاوية، ومن عم (كذا) الخلفاء

الذين ولوّه وأقروه على الحكم، وهم نقلة القرآن وحفظته).

فَمَ يقال له؟ إلا أنه من شيعة بني أمية حشره الله معهم، وأن الشيعة أعزهم الله لم ينسبوا إلى يزيد وأبيه إلا ما قد فعلاه، ونقله أرباب السير والتواريخ كالطبري وغيره، وأن الشيعة لم يلتزموا إلا بأدب القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث ورد اللعن فيهما لبني أمية ولمعاوية بالخصوص، ولهم وليزيد بأوصاف وأفعال قد ارتكبوها.

فَمَ ذنب الشيعة إذا التزموا بمضمون القرآن والسنة؟ نعم الذنب على غيرهم الذين يُحرّفون آيات الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإثبات خلافة من يعبدون من أصنامهم، عبادةً قائمة على النصب لأمير المؤمنين وبنيه المعصومين الذين هم آل بيت النبوة والعصمة والعلم.

وبعد هذا كله فاقرأ واعجب ففي البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٢٩٠ في حوادث سنة ٥٨٣ قال:

(وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي، كان من صلحاء الحنابلة، وله مصنّفٌ في فضل يزيد بن معاوية، أتى فيها بالغرائب والعجائب، وقد ردّ عليه أبو الفرج ابن الجوزي فأجاد وأصاب).

وذكره ابن العماد الحنبلي في كتابه (شذرات الذهب) ج ٤ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦، وقال في آخر ترجمته: (قال الذهبي: صنف جزءاً في فضائل يزيد، أتى فيه بالموضوعات).

وردّ عليه ابن الجوزي في كتابه (الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد).

وقال سبطه في تذكرته ص ٢٥٧ ـ ٢٦١:

(وذكر جدي أبو الفرج في كتابه: (الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد) وقال: سألني سائل فقال: ما تقول في يزيد بن معاوية؟

فقلت له: يكفيه ما به.

فقال: أتجوّز لعنه؟ فقلت: قد أجاز العلماء الورعون، منهم أحمد بن حنبل، فإنه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة.

قال جدي ـ وذكر سنداً إلى المهنا بن يحيى ـ قال: سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية، فقال: هو الذي فعل ما فعل.

قلت: ما فعل؟ قال نهب المدينة، قلت: فنذكر عنه الحديث؟

قال: لا، ولا كرامة، لا ينبغي لأحدٍ أن يكتب عنه الحديث.

وحكى جدي أبو الفرج عن القاضي أبي يعلى بن الفراء في كتابه (المعتمد في الأصول)، بإسناده إلى صالح بن احمد بن حنبل قال: قلت لأبي: إن قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد؟

فقال: يا بني، وهل يتوالى يزيد أحدٌ، يؤمن بالله.

فقلت: فلِمَ لا تلعنه؟

فقال: وما رأيتني لعنت شيئاً، يا بني، لِمَ لا تلعن من لعنه الله في كتابه؟

فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟

فقال: في قوله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعّوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى

أبصارهم) فهل يكون فساد أعظم من القتل.

وفي رواية: لما سأله صالح فقال: يا بني ما أقول في رجلٍ، لعنه الله في كتابه، وذكره.

قال جدي: وصنّف القاضي أبو يعلى كتاباً، ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد.

وقال في الكتاب المذكور: الممتنع من جواز لعن يزيد إما أن يكون غير عالم بذلك أو منافقاً، يريد أن يوهم بذلك، وربما استفز الجهال بقوله عليه السلام: المؤمن لا يكون لعاناً.

قال القاضي: وهذا محمول على من لا يستحق اللعن.

الى أن قال ـ قلت: ولما لعنه جدي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر وأكابر العلماء قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا، فقال جدي: ألا بُعداً لمدين كما بعدت ثمود.وحكى لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم: أن جماعة سألوا جدي عن يزيد، فقال: ما تقولون في رجلٍ ولّى ثلاث سنين، في السنة الأولى قتل الحسين، في الثانية أخاف المدينة وأباحها، وفي الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدمها، فقالوا: نلعن، فقال: فالعنوه).

المغفرة المزعومة لجيش مدينة قيصر

وأقول: (أن جيش القسطنطينية مغفور له، ويزيد أميرهم).

أما الحديث فقد أورده البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٥١، باب ما قيل في الروم من باب فضل الجهاد والسِّير قال:

(حدثني إسحاق بن يزيد الدمشقي، حدثنا يحيى بن حمزة قال: حدثني ثوْر بن يزيد، عن خالد بن مَعَدان: أن عُمير بن الأسود العَنْسيّ حدّثه: أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص، وهو في بناءٍ له، ومعه أم حَرَامٍ قال عُمير: فحدثتنا أمُ حرام: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟

قال: أنتِ فيهم.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا).

وأورده ابن عساكر كما في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٥ ص ١١٦، عن ثور بن يزيد بسنده عن عمر بن الأسود العنسي، قال: (أتينا عبادة بن الصامت أيام أرواد، فإذا هو قائم يركع، فقالت

له أم حرام: يا أبا الوليد، هؤلاء إخوانك جاؤوك تُحدّثهم، فقال لها: إن كنتُ صحبتُ فقد صحبتِ، وإن أكن سمعتُ فقد سمعتِ، فحدّثيهم أنتِ.

فقالت: أتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أين أبو الوليد؟

فقلت: الساعة يأتيك، فألقيتُ له وسادةً فجلس عليها، فضحك، فقلت: ما أضحكك؟ قال: أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا، فقلت: أدعُ الله لي أن أكون معهم، قال: اللهم اجعلها معهم

قالت: ثم ضحك، فقلت: ما الذي أضحكك؟ قال: أول جيش من أمتي يُرابطون مدينة قيصر مغفور لهم).

وقد أورده المتقي الهندي في كنز العمال ج ٤ ص ٤٥٥ تحت رقم (١١٣٥٧).

وأرواد جزيرة في البحر قرب مدينة قيصر، غزاها المسلمون وفتحوها سنة ٥٤ للهجرة مع جنادة بن أمية في أيام معاوية بن أبي سفيان كما في معجم البلدان ج ١ ص ١٦٢.

ولفظ (قد أوجبوا) أي أوجبوا لأنفسهم المغفرة والرحمة بسبب أعمالهم الصالحة كما هو مضمون شرح إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٤٠٨.

وعلى فرض صحة الخبر وصحة وجود يزيد في هذا الجيش أميراً وقائداً أو لا، فالخبر لا يدل على غفران ذنوبه وحُسن حاله كما (استدل به المهلب على ثبوت خلافة يزيد وأنه من أهل الجنة لدخوله في عموم قوله: مغفور لهم) كما في إرشاد الساري لشرح صحيح

البخاري ج ٦ ص ٤٠٨.

حيث إن القسطلاني في نفس المصدر السابق قال: (وأجيب: بأن هذا جارٍ على طريق الحمية لبني أمية، ولا يلزم من دخوله في ذلك العموم أن لا يخرج بدليل خاص، إذ لا خلاف أن قوله عليه الصلاة والسلام: مغفور لهم، مشروطٌ بكونه من أهل المغفرة، حتى لو ارتدّ واحدٌ ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم اتفاقاً، قاله ابن المنير.

وقد أطلق بعضهم فيما نقله المولى سعد الدين اللعنَ على يزيد، لما أنه كفر حين أمر بقتل الحسين، واتفقوا على جواز اللعن على من قتله، أو أمر به، أو أجازه ورضي به، والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مما تواتر معناه، وإن كان تفاصيلها آحادا، فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه).

وقال العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ بعد إيراده الخبر: (قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد، لأنه أول من غزا مدينة قيصر.

وتعقبه ابن التين وابن المنير بما حاصله: أنه لا يلزم من دخوله في ذلك العموم أن لا يخرج بدليل خاص، إذ لا يختلف أهل العلم أن قوله صلى الله عليه وسلم: مغفور لهم، مشروطٌ بأن يكونوا من أهل المغفرة، حتى لو ارتد واحدٌ ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم اتفاقاً، فدل على أن المراد: مغفور لمن وُجد شرط المغفرة فيه منهم).

وقال السبط ابن الجوزي عن جده أبي الفرج عن القاضي أبي يعلى في تذكرة الخواص ص ٢٥٨:

(فإن قيل: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له، ويزيد أول من غزاها.قلنا: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لعن الله من أخاف مدينتي، والآخر ينسخ الأول.

قال أحمد في المسند ـ وذكر السند إلى السايب بن خلاد ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يومَ القيامة صرفاً ولا عدلاً.

وقال البخاري ـ وذكر السند إلى عائشة ـ قالت: سمعت سعداً، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يكيد أهل المدينة إلا أن ماع كما يماع الملح في الماء.

وأخرجه مسلم أيضا بمعناه، وفيه: لا يريد أهل المدينة أحدٌ بسوء إلا أذابه الله في النار ذوبَ الرصاص.

ولا خلاف أن يزيد أخاف أهل المدينة، وسبى أهلها ونهبها وأباحها، وتسمى وقعة الحرة.

وسببه ما رواه الواقدي وابن إسحاق وهشام بن محمد: أن جماعة من أهل المدينة وفدوا على يزيد سنة اثنين وستين، بعدما قُتل الحسين، فرأوه يشرب الخمر ويلعب بالطنابير والكلاب، فلما عادوا إلى المدينة، أظهروا سبّه وخلعوه، وطردوا عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وقالوا: قدمنا من عند رجلٍ، لا دين له، يسكر ويدع الصلاة، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل ـ غسيل الملائكة ـ ، وكان حنظلة يقول: يا قوم واللهِ ما خرجنا على يزيد، حتى خِفنا أن

نُرمى بالحجارة من السماء، رجلٌ ينكح الأمهات والبنات والأخوات، وبشرب الخمر ويدع الصلاة، ويقتل أولاد النبيين، واللهِ لو يكون عندي أحدٌ من الناس لأبلى الله فيه بلاءً حسناً.

فبلغ الخبرُ إلى يزيد، فبعث إليهم مسلم بن عقبة المري، في جيش كثيف من أهل الشام، فأباحها ثلاثاً، وقتل ابن الغسيل والأشراف، وأقام ثلاثاً ينهب الأموال ويهتك الحريم.

قال ابن سعد: وكان مروان بن الحكم يُحرّض مسلم بن عقبة على أهل المدينة، فبلغ يزيد، فشكر مروان، وقرّبه وأدناه ووصله.

وذكر المدايني في كتاب (الحرة)، عن الزهري، قال: كان القتلى يوم الحرة سبعمائة من وجوه الناس، ومن قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأما من لم يُعرف من عبدٍ أو حرٍ أو امرأة فعشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وامتلأت الروضة والمسجد

قال مجاهد: والتجأ الناس إلى حجرة رسول الله ومنبره والسيف يعمل فيهم.

وكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة، فكان بينها وبين موت يزيد ثلاثة أشهر، ما أمهله الله، بل أخذه الله أخذ القوي، وهي ظالمة (كذا)، وظهرت فيه الآثار النبوية والإشارات المحمدية.

وذكر أبو الحسن المدايني، عن أم الهيثم بنت يزيد قالت: رأيت امرأة من قريش تطوف بالبيت، فعرض لها أسود، فعانقته وقبّلته، فقلت لها: ما هذا منك؟ قالت: هذا ابني من يوم الحرة، وقع عليّ أبوه فولدته.

ذكر أيضاً المدايني، عن أبي قرة، قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحرة من غير زوج، وغير المدايني يقول: عشرة آلاف امرأة.

وقال الشعبي: أليس قد رضي يزيد بذلك، وأمر به وشكر مروان بن الحكم على فعله، ثم سار مسلم بن عقبة من المدينة إلى مكة، فمات في الطريق، فأوصى إلى الحصين بن نمير، فضرب الكعبة بالمجانيق، وهدمها وأحرقها، وجاء نعي يزيد لعنه الله في ربيع)

ولا بأس بصرف عنان الكلام في شرح أحوال أبي أيوب الأنصاري ومشاركة يزيد في غزوة مدينة قيصر.

أحوال أبي أيوب الأنصاري

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري البخاري من بني غَنم بن مالك بن النجار، غلبت عليه كنيتُه، أمه: هند بنت سعد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن كعب بن الخزرج، شهد بدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ في خروجه من بني عمرو بن عوف، حين قدم المدينة مهاجراً من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده في تلك السنة، وبنى مساكنه، كما في الاستيعاب للقرطبي ج ٢ ص ٩ ـ ١٠، تحت رقم (٦١٨).

وفي أسد الغابة ج ٢ ص ١٢١ ـ ١٢٢ تحت رقم (١٣٦١): (ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً أنزل عليه، وأقام عنده، حتى بنى حُجرَه ومسجده وانتقل إليها، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير ـ إلى أن قال ـ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فاعترضه بنو سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، هلُمّ إلى العدد والعُدّة والقوة، أنزل بين أظهرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة، ثم مرّ بيني بيَاضة فاعترضوه فقالوا مثل ذلك، ثم مرّ بيني ساعدة، فقالوا مثل ذلك، فقال خلّوا سبيلها، فإنها مأمورة ثم مرّ بأخواله بني عَدِيّ بن النجار، فقالوا: هلمّ إلينا، أخوالك، فقال مثل ذلك.

فمرّ ببني مالك بن النجار فبركت على باب مسجده، ثم التفتت، ثم انبعثت إلى مباركها الذي انبعثت منه فبركت فيه، ثم تحلحلت في مُناخها ورَزَمت، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فأدخله بيته، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد).

وفي أسد الغابة ج ٦ ص ٢٢ تحت رقم (٥٧١١٤): (شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن خاصته قال ابن الكلبي وابن إسحاق وغيرهما: شهد أبو أيوب مع علي الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان).

وفي رجال الكشي ج ١ ص ١٦٩ ـ ١٧٦ بسنده عن محمد بن سليمان قال:

(قدم علينا أبو أيوب الأنصاري فنزل ضيعتنا، يعلف خيلاً له، فأتيناه فأهدينا له، قال: قعدنا عنده فقلنا: يا أبا أيوب، قاتلت المشركين بسيفك هذا مع رسول الله ﷺ، ثم جئت تقاتل المسلمين؟

فقال: إن النبي ﷺ أمرني بقتال القاسطين والمارقين والناكثين، فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين، وأنّا نقاتل إن شاء الله بالمسعفات بالطرقات بالنهروانات، وما أدري أنّى هي)

وقوله (بالمسعفات) أي أراضى القرى المسعفات، (النهروانات) مواضع وقرى قريبة من بلدة نهروان، وقاتل فيها الخوارج كما أن الناكثين عائشة والزبير وطلحة وجماعتهم، وقاتلهم في وقعة الجمل، وسُموا بالناكثين لأنهم نكثوا البيعة ونقضوها بعد عقدها لأمير المؤمنين عليه السلام.

والقاسطون معاوية وأشياعه، لأنهم قسطوا أي حاروا وعدلوا عن الحق، وقاتلهم في وقعة صفين.

وفي نفس المصدر ص ١٨١ ـ ١٨٨ :

(إن من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيهان، وأبو أيوب، وخزيمة بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وزيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، والبراء بن مالك، وعثمان بن حنيف، وعبادة بن الصامت، ثم ممن دونهم قيس بن سعد بن عبادة، وعدي بن حاتم، وعمرو بن الحمق، وعمران بن الحصين، وبريدة الأسلمي، وبَشَرٌ كثير) .

وفي شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٢٠٧، نقلاً عن كتاب (صفين) لنصر بن مزاحم بسنده عن أبي صادق:

(قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراقَ، فأهدت له الأزد جُزراً ـ جمع جزور، وهو ما يذبح من الإبل ـ فبعثوها معي، فدخلت إليه فسلّمت عليه، وقلت له: يا أبا أيوب، قد كرّمك الله عز وجل بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونزوله عليك، فمالي أراك تستقبل الناسَ بسيفك، تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء مرة؟

قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، فهذا وجهُنا إليه ـ يعني معاوية وأصحابه ـ ، وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين، ولم أرهم بعدُ).

وفي نفس المصدر ص ٢٠٨، عن كتاب (صفين) بسنده عن رباح بن الحارث النخعي قال:

(كنتُ جالساً عند علي عليه السلام إذ قَدِم متلثّمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال لهم: أو لستم قوماً عَرَباً؟ قالوا: بلى، ولكنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: من كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

قال: فقد رأيتُ علياً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا.

ثم إن القوم مضْوا إلى رحالهم فتبعتُهم، فقلت لرجلٍ منهم: مَنْ القوم؟ قالوا: نحن رَهْطُ من الأنصار، وذاك ـ يعنُون رجلاً منهم ـ أبو أيوب، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فأتيتُه فصافحتُه).

وقال الشيخ المامقاني في تنقيح المقال ج ١ ص ٣٩٠ في ترجمته بعد ذكر بعد أخباره:

(فراجع إلى غير ذلك مما يكشف عن كون الرجل من شيعة علي عليه السلام، وقوّي اليقين، صلب الإيمان).

هذا من جهة ومن جهة أخرى فاشتراكه في حروب المشركين زمن معاوية مما لا نقاش فيه، ولذا أورد الكشي في رجاله ج ١ ص ١٨٨.

(وسُئل الفضل بن شاذان عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وقتاله مع معاوية المشركين؟

فقال: كان ذلك منه قلة فقه وغفلة، ظنّ أنه يعمل عملاً لنفسه يقوّي به الإسلام، ويوهي به الشرك، وليس عليه من معاوية شئ، كان معه أو لم يكن).

وقال السيد بحر العلوم في فوائده ج ٢ ص ٣٢٤، مشيراً إلى اعتراض الفضل:

(توفي ـ رحمه الله ـ غازياً بالقسطنطينية من أرض الروم سنة ٥١ من الهجرة، ونقم عليه بعضُ أصحابنا قتاله مع معاوية ودخوله تحت رايته، وأجيب: بأنه إنما عمل عملاً لنفسه، قاصداً به تقوية الإسلام، وليس عليه من معاوية شئ، كان أولم يكن.

وهو كما ترى، والأولى أن يقال: إن الخطأ في الاجتهاد لا ينافي سلامة الأصول)

ونقل هذا الكلام الشيخ المامقاني في المصدر السابق ص ٣٩١، وقال:

(أقول: أشار (بقوله كما ترى) إلى أن القتال مع غير إمام الحقعليه السلام غير مشروع حتى لتقوية الإسلام، والأمر كما أشار إليه قدس سره، والجواب الحق ما ذكره قدس سره).

وعلّق السيدان محمد صادق وحسين بحر العلوم على كلام جدهما في فوائده:

(ولكن من أين ثبت له ـ للفضل بن شاذان ـ أنه لم يكن بإذن الحسينعليه السلام، ولعله كان بإذنه، فإن أبا أيوب أجلّ من أن يكون قليل الفقه و المعرفة)

ومن جهة ثالثة قال السيد الأمين في أعيانه ج ٦ ص ٢٨٣:

(توفي غازياً في بلاد الروم، في ملك معاوية سنة ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢، وهو الأكثر، كذا في الاستيعاب.

وفي تهذيب التهذيب عن أبي زرعة الدمشقي سنة ٥٥، وفي مروج الذهب سنة ٤٥، ولم يقله غيره.

وفي الاستيعاب: دُفن قرب سور القسطنطينية، وقبره معلوم إلى اليوم مُعظّم، يَستسقون به فيُسْقَون.

فيه ـ في الاستيعاب ـ في الكُنى: رُوي عن مجاهد أن خيل المسلمين جعلت تقبل وتدبر على قبره حتى عُفى أثره (خافوا من نبشه).

وقال البغوي: قُبر ليلاً، وعن مجاهد: أن الروم قالت للمسلمين صبيحة دفنهم أبا أيوب: لقد كان لكم الليلة شأن، فقالوا: هذا رجلٌ من أكابر أصحاب نبينا محمدﷺ، وأقدمهم إسلاماً، وقد دفناه، حيث رأيتم، واللهِ لئن نُبش لاضُرب لكم ناقوس في أرض العرب ما كانت لنا مملكة.

قال مجاهد: كانوا إذا أمحلوا كشفوه عن قبره فمُطروا، وقال أبو القاسم، عن مالك: بلغني عن قبر أبي أيوب أن الروم يستصّحون به ويستقون.

وقال ابن حبان: قال ـ أي أبو أيوب ـ : إذا أنا مُت فقدموني في بلاد العدو ما استطعتم، ثم ادفنوني، فمات، فكان المسلمون على حصار القسطنطينية، فقدموه حتى دُفن إلى جنب حائط).

وهذا خلاصة ما قيل في أسد الغابة ج ٦ ص ٢٣ تحت رقم (٥٧١٤)، وما قيل في الاستيعاب ج ٤ ص ١٦٩ تحت رقم (٢٨٩٤).

مشاركة يزيد في غزوة مدينة قيصر

في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣٢، عن حوادث سنة ٤٩ قال:

(وفيها كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم حتى بلغ قسطنطينية، ومعه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو أيوب الأنصاري).

وفي تاريخ خليفة بن خياط ص ١٢٩، عن حوادث سنة ٥٠ قال:

(وفيها غزا يزيد بن معاوية أرض الروم، ومعه أبو أيوب الأنصاري).

وفي تاريخ ابن زرعة ج ١ ص ٢٢٦ تحت رقم ٢٢٠، بسنده عن ابن جابر:

(أن أبا أيوب الأنصاري تُوفي في غزاة يزيد بن معاوية القسطنطينية، في خلافة معاوية).

وفي نفس المصدر ص ١٨٨ تحت رقم ١٠١، بسنده عن سعيد بن عبد العزيز:

(فأغزا معاوية الصوائف وشتّاهم بأرض الروم، ست عشرة صائفة، تصيف بها وتشتوا، ثم تقفل وتدخل معقّبتُها، ثم أغزاهم معاوية ابنه يزيد في سنة خمس وخمسين، في جماعة من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم في البر والبحر، حتى جاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها، ثم قفل.

قال أبو زرعة: فدلنا خبر سعيد بن عبد العزيز هذا: أن أبا أيوب الأنصاري مات سنة خمس وخمسين بالقسطنطينية).

وفي الاستيعاب ج ٤ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ تحت رقم (٢٨٩٤) ترجمة أبي أيوب الأنصاري في باب الكُنى قال:

(وروى أيوب، عن محمد بن سيرين قال: نُبئت أن أبا أيوب شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً، ثم لم يتخلف عن غزوة في كل عام، إلى أن مات بأرض الروم رضي الله عنه، فلما ولى معاوية يزيد على الجيش الذي بعثه إلى القسطنطينية جعل أبو أيوب يقول:

وما عليّ أن أمرّ علينا شاب، فمرض في غزوته تلك، فدخل عليه يزيد يعوده، وقال: أوصني.

قال: إذا مُت فكفنوني، ثم مُرّ الناسَ فليركبوا، ثم يسيروا في أرض العدو، حتى إذا لم تجدوا مُساغاً فادفنوني.

قال: ففعلوا ذلك، وقال: وكان أبو أيوب يقول: قال الله عز وجل: (انفروا خِفافاً وثقالاً التوبة آية ٤٢)، فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً).

وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٧ عند ذكر الغزوات التي تمت في زمن معاوية صيفاً وشتاءً قال:

(سنة ٥٦ يزيد بن معاوية فبلغ القسطنطينية، وشتّى مسعود بن أبي مسعود).

وفي البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٤٧ ـ ٤٨، عن حوادث سنة ٥٢ قال:

(ذكر من توفي فيها من الأعيان: خالد بن زيد بن كليب ـ إلى أن قال ـ وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية من هذه السنة، وقيل: في التي قبلها، وقيل في التي بعدها، وكان في جيش يزيد بن معاوية، وإليه أوصى، وهو الذي صلىّ عليه).

وفي العقد الفريد ج ٥ ص ١١٥ ـ ١١٧:

(أراد معاوية أن يقدم ابنه على الصائفة ـ الجيش يغزو صيفاً ـ فكره ذلك يزيد، فأبى معاوية إلا أن يفعل، فكتب إليه يزيد يقول:

نـجـيٌّ لا يـزال يـعـدّ ذنـبـاً لتقطع وصل حبلك من حبالي
فيوشك أن يريحك من أذاتي نُزولي في المهالك وارتحالي

وتجهز للخروج، فلم يتخلف عنه أحدٌ، حتى كان فيمن خرج أبو أيوب الأنصاري صاحب النبيﷺ ـ إلى أن قال ـ فلما صار إلى الخليج ثقل أبو أيوب الأنصاري، فأتاه يزيد عائداً، فقال: ما حاجتك يا أبا أيوب؟

فقال: أما دنياكم فلا حاجة لي فيها، ولكن قدّمني ما استطعت في بلاد العدو، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يُدفن عند سور القسطنطينية رجلٌ صالح، أرجو أن أكون هو).

وفي مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٣ ـ ٢١٤، عن حوادث سنة ٤٥:

(وقد كان معاوية أغزى في هذه السنة سُفيان بن عَوْن العامريّ، وأمره أن يبلغ الطُّوانه فأصابه جدري، وأصيب معه خلقٌ من الناس،

فعمّ الناس الحزنُ بمن أصيب بأرض الروم.

وبلغ معاوية أن يزيد ابنه حين بلغه خبرهم، وهو على شرابه مع ندمائه قال:

هوّنَ عليّ بما لاقت جموعهُمُ ... يومَ الطُوانة من حُمّى ومن مُومِ
إذا اتّكأتُ على الأنماط مرتفقاً ... بديّر مُرّانَ عندي أمُ كلثوم

فحلف عليه ليغزونّ، وأردف به سفيان، فسُمّيت هذه الغزوة (غزوة الرادفة) وبلغ الناس فيها إلى القسطنطينية، وفيها مات أبو أيوب الأنصاري، ودُفن هناك على باب القسطنطينية، واسم أبي أيوب خالد بن زيد.

وقد قيل: إن أبا أيوب مات في سنة إحدى وخمسين غازياً مع يزيد).

وقال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩، عن حوادث سنة ٤٩:

(ذكر غزوة القسطنطينية في هذه السنة، وقيل: سنة خمسين، سيّر معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفيان بن عَوف، وأمر ابنه يزيد بالغُزاة معهم، فتثاقل واعتلّ، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناسَ في غزاتهم جوعٌ ومرض شديد، فانشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جُموعهُمُ ... بالفرقدونة من حُميّ ومن مُومِ
إذا اتّكأتُ على الأنماط مرتفقاً ... بديْرِ مُرّان عندي أمُ كلثوم

وأم كلثوم امرأته، وهي ابنة عبد الله بن عامر.

فبلغ معاوية شعره، فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان في أرض الروم،

ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمعٌ كثيرٌ اضافهم أليه أبوه، وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، وغيرهُم وعبد العزيز بن زرارة الكلابي، فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية، فاقتتل المسلمون والروم في بعض الأيام واشتدّت الحرب بينهم، فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يُقتل، ـ إلى أن قال ـ ثم رجع يزيد والجيش إلى الشام، وقد تُوفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدُفن بالقرب من سورها، فأهلها يستسقون به، وكان شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد صفين مع علي وغيرها من حروبه).

هذه جملة من كلمات المؤرخين في غزوة القسطنطينية ومشاركة يزيد فيها، وهي مع اختلافها في سنة الغزوة، وتنصيص بعضها على مشاركة جماعة من الصحابة أمثال ابن عباس وابن الزبير وابن عمر أخبار آحاد، غير متفقة في التفاصيل، وهذا ما يوجب ضعف التفاصيل.

نعم هي متفقة على مشاركة أبي أيوب الأنصاري في غزوة القسطنطينية وموته فيها، ولكنها غير متفقة على كون يزيد في نفس الغزوة فضلاً عن كونه أميراً.

ومع الغضّ عن ذلك فلم يشارك في هذه الغزوة من أجل الحديث النبوي الوارد في غفران جيش هذه الغزوة كما قال ابن تيميه في منهاج السنة ج ٢ ص ٢٥٢ على ما تقدم نقل كلامه، بل من أجل حلف أبيه معاوية بعدما ندبه على المشاركة في الغزوة وتمنعه عن ذلك لانشغاله بشرب الخمر وبالنساء واللهو كما يستفاد من خبري مروج الذهب وكامل ابن الأثير ويؤكدهما خبران آخران:

الأول: ما في انساب الأشراف ج ٥ ص ٣٠١ في ترجمة يزيد، قال:

(وقال أيضاً:

إذا اتكأت على الأنماط في غُرف بدير مرّان عندي أم كلثوم
فلا أبالي بما لاقت جموعهم بالقرقذونة من حُمّى ومن موم

وكان ناسٌ غازين، فأصابهم وباء ومرض وجوع، فلما بلغ معاوية شعره قال: واللهِ ليغزونّ ولو مات، فأغزاه بلاد الروم ومعه فُرس إنطاكية وبعلبك وغيرهم، فلحق بسفيان بن عوفة بالفرقذونة، فغزا حتى بلغ الخليج، ثم انصرف، وأم كلثوم: بنت عبد الله بن عامر).

الثاني: ما في الأغاني ج ١٧ ص ٢١١ ـ ٢١٢، بسنده عن أبي عبيده:

(إن معاوية وجّه جيشاً إلى بلد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جدري فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مُرّان مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم، فقال:

إذا ارتفقت على الأنماط مصطحباً بدير مرّان عندي أم كلثوم
فما أبالي بما لاقت جنودهم بالفذقذونة من حُمّى ومن مُوم

فبلغ شعره أباه، فقال: أجل، واللهِ ليلحقّن بهم فليصيبنّه ما أصابهم، فخرج حتى لحق بهم، وغزا حتى بلغ القسطنطينية).

ومن هذين النصين يستفاد أيضاً عدم إمرة يزيد على الجيش، بل التحق بجيش عليه أمير، والالتحاق بالجيش مرغماً بحلف أبيه لا بدرجه تحت عموم مغفرة من يشارك في غزوة مدينة قيصر، لو سلم

صحة أخبار الغفران، ولكنها أخبار انفردت بها العامة، ومراجعة الخبر توجب التشكيك فيه، حيث جُعلت المغفرة لجيش القسطنطينية مع إصرارهم على مشاركة مزعومة ليزيد فيه، أميراً أو ملتحقاً.

كما جعل الإيجاب بالجنة والمغفرة لا بسبب الأعمال الصالحة لأول منِ يغزو في البحر، وأول من غزا في البحر هو معاوية كما في زعمهم، فالخبران لتبرئة هذين الفاسقين المطرودين من رحمة الله، فكيف يمكن صدورهما من النبي الأعظمﷺ.

قتل الحسين يوجب الكفر

وأقول: (وأما أن قتل الحسين لا يوجب الكفر، إذ الموجب للكفر في القتل هو قتل نبي من الأنبياء).

ففيه: لقد أوردت العامة في صحاحهم وكتبهم أخباراً منها:

ما رواه الحاكم النيسابوري في مستدركه ج ٣ ص ١٦١، تحت رقم (٤٧١٣)، بإسناده إلى أبي هريرة، قال:

(نظر النبي صلى الله علي وسلم إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، وقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلمُ لمن سالمكم).

وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ج ١٢ ص ٩٧ تحت رقم (٣٤١٦٤) عن مسند أحمد، والمعجم الكبير للطبراني.

وأورده في نفس المصدر ج ١٣ ص ٦٤٠، تحت رقم (٣٧٦١٨) عن الترمذي وصحيح ابن حبان، والمختارة للضياء المقدسي.

وما رواه الحاكم في نفس المصدر السابق، حديث (٤٧١٤)، بإسناده عن زيد بن أرقم، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم، وسلمٌ لمن سالمتم).

وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ج ١٢ ص٩٦ تحت رقم (٣٤١٥٩) عن الترمذي في صحيحه.

ومنها: ما رواه الحاكم في مستدركه ج ٣ ص ١٩٤، تحت رقم (٤٨٢٠) بإسناده عن يعلى العامري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

(حسين مني وأنا من حسين، أحب الله حسيناً، حسين سبط من الأسباط).

وعقّبه بقوله: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ج ١٢ ص ١٢٩ تحت رقم (٣٤٣٢٨) عن صحيح الترمذي ومسند أحمد بن حنبل، وصحيح ابن ماجة، والأدب المفرد للبخاري، والمعجم الكبير للطبراني، ومن الطائفة الأولى يستفاد أن حرب الحسين عليه السلام هو حرب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي هو أعظم الأنبياء عليهم السلام، فإذا كان قتل نبي من الأنبياء موجباً للكفر كما هو دعوى الخصم فقتل الحسين الموجب لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موجباً للكفر من باب أولى، والطائفة الثانية صريحة في امتداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبطه الحسين عليه السلام في أقواله وأفعاله، والمحارب للحسين عليه السلام محارب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

اللعن من شأن المؤمنين

وأقول: (وأما أن اللعن ليس من شأن المؤمنين، وأن اللعن مساوق للقتل، فلعن المسلم كقتله فلا يجوز لعن يزيد).

بعدما تقدم من النصوص القرآنية والنبوية الصريحة في لعن المسلم المرتكب بعض المعاصي فالقول: إن اللعن ليس من شأن المؤمنين مغالطة، بل اللعن لمن يستحقه هو من التأدب بأدب الله جل وعلا وأدب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما أن اللعن مساوق للقتل فمما تضحك منه الثكلى، ولا يتقبله إلا الجهال أو الذين لا يرضون بكشف حقائق أعداء آل النبي عليهم السلام.

فاللعن كما عرفت هو الطرد من رحمة الله، والمرتكب للمعاصي بعيد عنها، فيجب التبري منه، فكيف إذا كان من أعداء الله ورسوله فيجب التبري من أعداء الله كما يجب التولي لأوليائه.

تذنيب

نقل العلامة المجلسي في بحاره ج ٤٤ ص ٣٠٩، عن كتاب (إلزام النواصب) ما يلي:

(إن ميسون بنت بجدل الكلبية، أمكنت عبدَ أبيها عن نفسها، فحملت يزيد لعنه الله، والى هذا أشار النسّابة الكلبي بقوله:

فإن يكن الزمان أتى علينا بقتل الترك والموت الوحيّ
فقد قَتَلَ الدّعي وعبدُ كلب بأرض الطف أولاد النبيّ

أراد بالدعي عبيد الله بن زياد لعنه الله، فإن أباه زياد بن سُميّة كانت أمّه سُميّة مشهورة بالزنا، وولد على فراش أبي عبيد، عبد بني علاج من ثقيف، فادّعى معاوية أن أبا سفيان زنّى بأم زياد، فأولدها زياداً، وأنه أخوه، فصار اسمه الدّعي، وكانت عائشة تسميّه زياد بن أبيه، لأنه ليس له أبٌ معروف.

ومراده بعيد كلب: يزيد بن معاوية، لأنه من عبد بجدل الكلبي، وأما عمر بن سعد لعنه الله، فقد نسبوا أباه سعداً إلى غير أبيه، وأنه من رجلٍ من بني عُذرة، كان خدنا لأمه، ويشهد بذلك قول معاوية لعنه الله، حين قال سعد لمعاوية: أنا أحق بهذا الأمر منك.

فقال له معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عُذرة، وضرط له، روى

ذلك النوفلي ابن سليمان من علماء السنّة، ويدل على ذلك قول السيد الحميرّي:

قدماً تداعوا زنيماً ثمّ سادهمُ　　لولا خمول بني سعد لما سادوا)

عاشوراء يوم عيد وتبرك عند النواصب

في علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦، باب ١٦٢، بسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث:

(فقلت له: يا بن رسول الله، فكيف سمّت العامة يوم عاشوراء يوم بركة، فبكى عليه السلام، ثم قال:

لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار، وأخذوا عليه الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه، حكم الله مما بيننا وبينهم).

وفي نفس المصدر ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨، بسنده عن جبلة المكية، قالت:

(سمعت ميثم التمار قدّس الله روحه يقول: واللهِ لتقتل هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشرٍ يمضين منه، وليتخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهدٍ عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ـ إلى أن قال ـ :

قالت جبلة: فقلت له: يا ميثم فكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام يوم بركة؟

فبكى ميثم رضي الله عنه، ثم قال: يزعمون لحديثٍ يضعونه، أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وإنما تاب الله على آدم في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داوود، وإنما قبل الله عز جل توبته في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت، وإنما أخرج الله عز وجل يونس من بطن الحوت في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي، وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله تعالى فيه البحر لبني إسرائيل، وإنما كان ذلك في ربيع الأول).

وقال البيروني المتوفى ٤٤٠ هـ في الآثار الباقية ص ٢٩٢:

(المحرم: اليوم الأول منه مُعظّم، لأنه غرّة الحول ومفتتح السنة، واليوم التاسع منه سُمى تاسوعاء، على مثال عاشوراء، وهو يومٌ يُصلي فيه الزّهاد من الشيعة، واليوم العاشر منه يُسمى عاشوراء، وهو يومٌ مشهور بالفضل، وروي عن النبي عليه السلام أنه قال:

أيها الناس، سارعوا إلى الخيرات في هذا اليوم، فإنه يومٌ عظيم مبارك، قد بارك الله فيه على آدم، وكانوا يعظمون هذا اليوم إلى أن اتفق فيه قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وفُعل به وبهم ما لم يُفعل في جميع الأمم بأشرار الخلق من القتل بالعطش والسيف وإحراق وصلب الرؤوس، وإجراء الخيول على الأجساد فتشاءموا به.

فأما بنو أمية فقد لبسوا فيه ما تجدّد، وتزينوا واكتحلوا وعيّدوا

وأقاموا الولائم والضيافات وطعموا الحلاوات والطيبات، وجرى الرسم في العامة أيام ملكهم، وبقي منهم بعد زواله عنهم.

وأما الشيعة فإنهم ينوحون ويبكون أسفاً لقتل سيد الشهداء فيه، ويُظهرون ذلك بمدينة السلام وأمثالها من المدن والبلاد، ويزورون فيه التربة المسعودة بكر بلاء، ولذلك كرِه فيه العامة من تجديد الأواني والأثاث).

وقال القزويني المتوفى ٦٨٢ هـ في عجائب المخلوقات ص ٦٨، في باب (القول في الشهور):

(حتى اتفق في هذا اليوم قُتل الحسين رضي الله عنه مع كثيرٍ من أهل البيت، فزعم بنو أمية أنهم اتخذوه عيداً فتزينوا فيه، وأقاموا فيه الضيافات، والشيعة اتخذوه يوم عزاء ينوحون فيه ويجتنبون الزينة، وأهل السّنة يزعمون أن الاكتحال في هذا اليوم مانع من الرمد في تلك السنة).

وقال المقريزي المتوفى ٨٤٥ هـ في خططه ج ١ ص ٤٩٠، عن أعياد ومواسم الفاطميين:

(يوم عاشوراء، كانوا يتخذونه يومَ حُزن، تتعطل فيه الأسواق، ويعمل فيه السماط العظيم المسمى بسماط الحزن ـ إلى أن قال ـ :

فلما زالت الدولة أتخذ الملوك من بني أيوب يومَ عاشوراء يوم سرور، يوسّعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويضعون الحلاوات، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام، التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، يرغموا بذلك أناف شيعة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، الذين يتخذون يوم عاشوراء يومَ عزاء وحزن فيه على

الحسين بن علي، لأنه قُتل فيه، وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب، من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرورٍ وتبسط).

وفي قصص الأنبياء للثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، والمسمى كتابه: (عرائس المجالس) ص ٥١، في قصة نوحٍ، قال:

(وركب نوح ومن معه في السفينة، لعشرٍ خلون من رجب، وخرجوا منها في العاشر من المحرم، فلذلك سُميّ يوم عاشوراء، وأقاموا في الفُلك ستة أشهر ـ إلى أن قال ـ :

ويُقال: إن نوحاً وقومه كانت قد أظلمت أعينهم في السفينة من دوام النظر إلى الماء، فأمروا بالإكتحال يوم عاشوراء، الذي خرجوا فيه من السفينة.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من اكتحل بالإثمد يومَ عاشوراء لم ترمد عينه أبداً).

وفي تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤١٧ في حوادث السنة الثانية:

(وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة رأى يهود تصوم يوم عاشوراء، فسألهم فأخبروه أنه اليوم الذي غرّق الله فيه آل فرعون، ونجّى موسى ومَنْ معه منهم، فقال: نحن أحق بموسى منهم، فصام وأمر الناس بصومه).

وقال ابن الحاج المتوفى سنة ٧٣٧ هـ في كتابه (المدخل) ج ١ ص ٢٠٨:

(الموسم الثالث من المواسم الشرعية، وهو يوم عاشوراء، فالتوسعة فيه على الأهل والأقارب واليتامى والمساكين، وزيادة النفقة والصدقة مندوب إليها، بحيث لا يُجهل ذلك، ولكن بشرطٍ، وهو ما

تقدم ذكره من عدم التكلف).

وقال ابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ هـ في لطائف المعارف ص ٢٩ في المجلس الأول في فضل شهر الله المحرم:

(ما أخرجه الترمذي من حديث، على أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: أخبرني بشهرٍ أصومه بعد شهر رمضان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كنت صائماً شهراً بعد شهر رمضان فصُم المحرم، فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب الله فيه على قومٍ، ويتوب على الآخرين).

وقال في نفس المصدر ص ٣١:

(وزعم بعض الشافعية أن أفضل الأشهر الحرم رجب، وهو قولٌ مردود، وأفضل شهر الله المحرم، عُشره الأول، وقد زعم عِمان بن رآب: أنه العَشر الذي أقسم الله به في كتابه، ولكن الصحيح أن العَشر المُقسم به عشر ذي الحجة).

وفي نفس المصدر والصفحة قال:

(وروي عن وهب بن منبه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن مُرْ قومك أن يتوبوا إليّ في أول عشر المحرم، فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إليّ أغفر لهم).

وقال ابن رجب في نفس المصدر في المجلس الثاني في يوم عاشوراء ص ٤٥:

(في الصحيحين، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سُئل عن يوم عاشوراء، فقال: ما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم صام

يوماً يتحرى فضله على الأيام إلا هذا اليوم، يعني عاشوراء، وهذا الشهر يعني رمضان).

وفي نفس المصدر والصفحة قال:

(وروى إبراهيم الهجري، عن أبي عياض، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يوم عاشوراء كانت تصومه الأنبياء فصوموه أنتم).

وفي نفس المصدر والصفحة قال:

(قال دلهم بن صالح، قلت لعكرمة: عاشوراء ما أمره؟ قال: أذنبت قريش في الجاهلية ذنباً فتعاظم في صدورهم، فسألوا ما توبتهم؟ قيل: صوم عاشوراء، يعني العاشر من المحرم).

وفي نفس المصدر ص ٤٦:

(وفي مسند الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود، قد صاموا عاشوراء، فقال: ما هذا من الصوم.

قالوا: هذا اليوم الذي نجّى الله عز وجل موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق، وغرّق فيه فرعون، وهذا يومٌ استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بموسى، وأحق بصوم هذا اليوم، فأمر أصحابه بالصوم).

وفي نفس المصدر ص ٥٠ ـ ٥١:

(ومن أعجب ما ورد في عاشوراء وأنه كان يصومه الوحش

والهوام، وقد روُي مرفوعاً أن الصرد أول طير صام عاشوراء، خرّجه الخطيب في تاريخه، وإسناده غريب، وقد رُوي ذلك عن أبي هريرة.

وروُي عن فتح بن شخرف، قال: كنتُ أفتّ للنمل الخبز كل يوم، فلما كان يوم عاشوراء لم يأكلوه، وروُي عن القادر بالله الخليفة العباسي: أنه جرى له مثل ذلك، وأنه عجب منه، فسأل أبا الحسن القزويني الزاهد، فذكر له: أن يوم عاشوراء تصومه النمل.

وروى أبو موسى المديني، بإسناده عن قيس بن عبادة قال: بلغني أن الوحش كانت تصوم عاشوراء.

وبإسنادٍ له عن رجلٍ: أتى البادية يوم عاشوراء، فرأى قوماً يذبحون ذبائح، فسألهم عن ذلك فأخبروه: أن الوحوش صائمة، وقالوا: اذهب بنا نُرك، فذهبوا به إلى روضة، فأوقفوه.

قال: فلما كان بعد العصر جاءت الوحوش من كل وجهٍ، فأحاطت بالروضة رافعةً رؤوسها إلى السماء، ليس شئ منها يأكل حتى إذا غابت الشمس أسرعت جميعاً فأكلت.

وبإسناده عن عبد الله بن عمرو، قال: بين الهند والصين أرضٌ، كان بها بطة من نحاس على عمود من نحاس، إذا كان يوم عاشوراء مدّت منقارها فيفيض من منقارها ماء، يكفيهم لزروعهم ومواشيهم إلى العام المقبل.

ورؤى بعض العلماء المتقدمين في المنام، فسُئل عن حاله: فقال غُفر لي بصيام عاشوراء ستين سنة ـ إلى أن قال ـ :

قال سعيد: قال قتادة: كان يُقال: صوم عاشوراء كفارة لما ضيّع الرجل من زكاة ماله.

وقد رُوي: أن يوم عاشوراء كان يوم الزينة الذي كان فيه ميعاد موسى لفرعون، وأنه كان عيداً لهم.

ويُروى: أن موسى عليه السلام كان يلبس فيه الكتان، ويكتحل فيه بالإثمد).

وفي نفس المصدر ص ٥٢:

(وأما الصدقة فيه، فقد رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: من صام عاشوراء فكأنما صام السنة، ومن تصدّق فيه كان كصدقة السنة، أخرجه أبو موسى المديني ـ إلى أن قال ـ :

وقال ابن منصور: قلت لأحمد: هل سمعت في الحديث من وسّع على أهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر السنة؟ فقال: نعم.

رواه سفيان بن عيينة ـ إلى أن قال ـ : قال ابن عيينة: جربناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا إلا خير ـ كذا، والأصح: خيرا ـ).

وقال في نفس المصدر ص ٥٣:

(وقد صحّ من حديث أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، قال: سألت عبيد بن عمير: عن صيام يوم عاشوراء؟

فقال: المحرم شهر الله الأصم، فيه يوم تيب فيه على آدم، فإن استطعت أن لا يمرّ بك إلا صمته).

وفي نفس المصدر والصفحة قال:

(وروى أبو موسى المديني، من حديث أبي موسى مرفوعاً: هذا يومٌ تاب الله فيه على قومٍ، فاجعلوه صلاةً وصوماً، يعني يوم عاشوراء

ـ إلى أن قال ـ :

وروى بإسناده، عن عليّ قال: يوم عاشوراء هو اليوم الذي تيب فيه على قوم يونس).

ولإبن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ القصيدة التترية، وهي من أشهر قصائده وأطولها، وقد كان من أجلاء طرابلس الشام وأراد أن يبعث هدايا إلى الشريف المرتضى الموسوي نقيب الأشراف بالعراق، فبعثها مع عبدٍ أسودٍ له، اسمه (تتر)، فظنّ الشريف أن العبد جزءٌ من الهدايا فأمسكه وطال الأمر، فلم يرَ ابن منير الطرابلسي ما يدفع الشريف إلى إرسال العبد المذكور إلا إظهار الدخول في مذهب التسنن، وأنه الذي دفعه إلى ذلك وإن كان موجباً لدخول النار بسبب إمساك العبد المذكور من قبل الشريف، فيكون الشريفُ مثله داخلاً في النار، وكان لإبن منير علاقة خاصة بمملوكه، وأظهر القصيدة على نحو الجدّ وهو يريد بها الهزل، والذي يهمنا من عرضها أنها تتضمن ما تفعله النواصب في اليوم العاشر.

والقصيدة، هي على ما في ديوانه ص ١٦٠ ـ ١٧١، جمع الدكتور عُمر عبد السلام تدمري:

عذّبْتَ طَرفي بالسَّهَر — وأذبتَ قلبي بالفِكَرْ
ومزجْتَ صفو مودتي — من بَعْدِ بُعدك بالكَدَرْ
ومنحتَ جُثماني الضَّنَى — وكحّلْتَ جفنيَ بالسَّهرْ
وجَفَوْتَ صّباً ما له — عن حُسن وجهك مُصطبر
يا قلب ويحك كم تُخا — دَع بالغرور وكم تُغَر
وإلامَ تَكلَفُ بالأغنّ — من الظّباء وبالأغَرّ
ريمٌ يُفوّقُ إن رما — ك بسهمٍ ناظره النظر

تــركــتــك أعــيــنٌ تــركُــهــا … مــن بــأســهــن عــلــى خــطــر
ورمَــت فــأصــمــت عــن قُــســيٍّ … لا يُـــنـــاطُ بـــهـــا وَتَـــرْ
جَــرَحَــتْــك جــرحــاً لا يــخــيَّــطُ … بـــالـــخـــيـــوط ولا الإبَـــر
تــلــهــو وتــلــعــب بــالــعــقــو … لِ عــيــونُ أبــنــاء الــخَــفــر
فـــكـــأنـــهـــنّ صـــوالـــجُ … وكـــأنـــهـــن لـــهـــا أُكـــرْ
تُــخــفــى الــهــوى وتُــسِــرُّهُ … وخــفُــيّ سِــرِّك قــد ظَــهــرْ
أفــهــل لــوجْــدك مــن مــدى … يُــفــضــي إلــيــه فــيــنــتــظــرْ
نــفــســي الــفــداءُ لــشــادنٍ … أنــا مــن هــواه عــلــى خــطــرْ
رشــأٌ تــحــار لــه الــخــواطــر … إن تـــثـــنـــى أو خَـــطَـــرْ
عـــذل الـــعـــذول ومـــا رآ … ه فــحــيــن عــايــنــه عَــذَرْ
قـــمـــرٌ يـــزيـــد ضـــوء صـــبـــ … ح جــبــيــنــه لــيــلُ الــسَــفَــرْ
تُـــدمـــي الـــلّـــواحـــظُ خَـــدّه … فـــتـــرى لـــهـــا فـــيـــه أَثَـــرْ
هـــو كـــالـــهـــلال مُـــلـــثَّـــمـــاً … والـــبـــدرِ حُـــســـنـــاً إن سَـــفَـــرْ
ويـــلاهُ مـــا أحـــلاه فـــي … قــلــبــي الــشــجــيّ ومــا أمــرّ
نــومــي "الــمــحــرم" بــعــدَهُ … و" ربــيــع " لــذّاتــي "صَــفــرَ"
بــالــمــشــعــريــن وبــالــصــفــا … والــبــيــت أُقــســم والــحَــجَــرْ
وبـــمـــن ســـعـــى فـــيـــه وطـــا … ف ولـــبّـــى واعـــتـــمـــرْ
لــئــن الــشــريــف الــمــوســوي … ابــن الــشــريــف أبــي مُــضــرْ
أبــدى الــجــحــودَ ولــم يَــرُدّ … إلـــيّ مـــمـــلـــوكـــي تَـــتَـــرْ
والـــيـــتُ آل أمـــيّـــةَ الـــ … طُّــهــر الــمــيــامــيــن الــغُــرَرْ
وجــحــدتُ بــيــعــة حــيــدرٍ … وعــدلــت عــنــه إلــى عُــمَــرْ
وأكـــذّب الـــراوي وأطـــعـــنُ … فـــي ظـــهـــور الـــمـــنـــتـــظَـــرْ
وإذا رَوَوْا خــبــر " الــغــديــر" … أقـــول: مـــا صـــحّ الـــخـــبـــرْ

ولبست فيه من الملابس ما اضمحل وما دَثَرْ
وإذا جرى ذكرُ الصحابةِ بين قوم واشتهرْ
قلت: المُقدَّم شيخ تيّم ثم صاحبُه عُمَرْ
ما سلّ قطُّ ظُباً على آلِ النبي ولا شَهَرْ
كلا، ولا صدّ البتُول عن التراث ولا زَجَرْ
وأثابها الحُسنى وما شق الكتاب ولا بَقَرْ
وبكيت عثمانَ الشهيد بُكاء نسوان الحَضَرْ
وشرحتُ حُسْنَ صَلاته جُنْحَ الظّلاَم المُعْتَكَرْ
وقرأت من أوراق مصحفه " البراءة والزُمَر "
ورثيت طلحة والزبيرَ بكلِ شِعر مُبْتَكَرْ
وأزورُ قبرَهما وأزجُرُ من لحاني أو زَجَرْ
وأقول: أم المؤمنين عقُوقُها إحدى الكِبَرْ
ركبَت على جَملٍ وسارت من بيتها في زُمرْ
وأتت لتُصلح بين جيش المسلمين على غَرُرْ
فأتى أبو حسن وَسَلّ حُسامَهُ وسطا وكَرّ
وأذاق اخوته الرّدَى وبعيرَ أمّهِم عَقَرْ
ما ضرَّهُ لو كان كَفّ وعفَّ عنهم إذ قَدَرْ
وأقول: إن إمامكم ولى بصفين وفَرّ
وأقول: إن أخطا معاويةُ فما أخطا القَدَرْ
هذا، ولم يغدر معاوية ولا عمرو مَكَرْ
بطل بسَوأته يقاتل لا بصارمه الذَّكَرْ
وجنيت من رُطَب النَّوا صب ما تتمر واختمرْ
وأقول: ذَنْبُ الخارجين على عليّ مَغْتَفرْ

لا ثـــائــرٌ لــقــتــالــهـــم فـــي الـــنـــهـــروان ولا أثـــرْ
والأشـــعـــريّ بـــمـــا يـــؤ ل إلـيـــه أمــرُهُـمـا شَـعَـرْ
قـال: انـصـبـوا لـي مـنـبـراً فـأنـا الـبـريء مـن الـخـطـرْ
فـعـلا، وقـال: خـلـعـت صـا حـبـكـم، وأوجـز واخـتـصـرْ
وأقـــول: إن يـــزيـــد مـــا شـــرب الـخـمــور ولا فَـجَـرْ
ولـجـيـشـه بـالـكـف عـــن أبـــنـــاء فـــاطـــمـــة أمَـــرْ
ولـه مـع الـبـيـت الـحـرا م يـــدٌ تُـكـفّـرُ مـا غَـبَـرْ
والـشِّـمـرُ مـا قـتـل الـحـسـيـ ـن ولا ابـنُ سـعـدٍ مـا غَـدَرْ
وحَـلَـقـتُ فـي عَـشَـرِ الـمُـحَـرَّ مِ مـا اسـتـطـال مـن الـشَّـعَـرْ
ونـــويـــتُ صـــومَ نـــهـــاره وصــيــامَ أيـــامٍ أُخَـــرْ
ولـبـسـت فـيـه أجَـلّ ثـو بٍ لـلـمـواسـم يـُدّخـرْ
وسـهـرتُ فـي طـبـخ الـحـبـو بِ مـن الـعِـشـاء إلـى الَّـسـحـرْ
وغـدوت مُـكـحَّـلاً أصـا فـحُ مـن لـقـيـتُ مـن الـبَـشَـرْ
ووقـفـتُ فـي وسـط الـطـر يـقٍ أقُـصُّ شـاربَ مـن عـبَـرْ
وأكـلـتُ جـرجـيـر الـبُـقُـو ل بـلـحـم جـريّ الـبـحـرْ
وجـعـلـتُـهـا خـيـرَ الـمـآ كـل والـفـواكـه والـخُـضَـرْ
وغـسـلـتُ رجـلـي حـاضـراً ومـسـحـت خُـفَّـيَ فـي الـسَّـفّرْ
آمـيـن أجـهـرُ فـي الـصّـلا ة كـمـن بـهـا قـبـلـي جـهـرْ
وأسـنَّ تـسـنـيـم الـقـبـو ر لـكـل قـبـر يُـحـتَـفَـرْ
وإذا أمـرؤ طـلـب الـدّلـيـ ـل وردّ قـولـي وأسـتـمـرْ
أو قـال لـي: أنـا لا أُسـ ـلـم، قـلـت: هـذا قـد كـفـرْ
وكـفـفـتُـهُ وزجـرتُـهُ وكـفـى بـقـولـي مـزدجـرْ
وأعـنـتُ ضُـلاّلّ الـشـا م عـلـى الـضَّـلال الـمـشـتـهـرْ

وأطعتهُمُ وطعنتُ في الـ خبر المُعَنعنِ والأثرْ
وسكنتُ جلّقَ وأقتديـ ـتُ بهم وإن كانوا بقرْ
بقرٌ ترى بحليمهم طيشَ الظَّليم إذا نفرْ
وهواؤهم كهوائهم وخليط مائهم القذرْ
وعليمهم مُستجهلٌ وأخو الديانة مُحتَقَرْ
وخفيفهم مستثقلٌ وثقيلهم فيه العِبرْ
وأقول مثل مقالهم بالفاشريّة قد فشرْ
مصطحيتي مكسورةٌ وفطيرتي فيها قِصَرْ
وطباعهم كجبالهم جُبلت وقُدّت من حَجَرْ
ما يدرك التشبيب تغر يدَ البلابل في السَّحَرْ
وأقول في يومٍ تحا ر له البصيرة والبَصَرْ
والصحف يُنشر طيُّها والنارُ ترمي بالشَّرَرْ
هذا الشريف أضلَّني بعد الهداية والنّظَرْ
مالي مُضلٌّ في الورى إلا الشريف أبو مُضرْ
فيقال: خُذ يد الشريـ ف، فمستقر كما سَقَرْ
لواحةٌ تسطو فما تُبقي عليه ولا تَذَرْ
فاخشَ الاله بسؤ فعـ لك واحذَرْ كلَّ الحذرْ
والله يغفر للمسي ء إذا تنصل واعتذرْ
إلا لمن جحد الوصيّ ولاءه ولمن كفرْ
وإليكها بدويّةٌ رقّت لرقّتها الحَضَرْ
شاميّةٌ لو شامها "قَسٌّ" الفصاحة لافتخرْ
ودرى وأيقن أنني بحرٌ وألفاظي دُرَرْ
وقصيدةٌ كخريدةٍ غيداء تَرْفُلُ في الحبرْ

حـبَّـرتُـهـا فـغـدت كـزهـ ـر الـرّوض بـاكَـرَه الـمـطَـرْ
وإلـى الـشـريـف بـعـثـتـهـا لـمـا قـرأهـا فـانـبـهـرْ
ردّ الـغـلام ومـا اسـتـمـ ـرّ عـلـى الـجـحـود ولا أصـرْ
وأثـابـنـي وجـزيـتـه شُـكـراً، وقـال: لـقـد صَـبَـرْ
وظـفـرتُ مـنـه بـالـمُـنَـى والـصـبـرُ عُـقـبـاهُ الـظَّـفَـرْ

ولما وصلت القصيدة إلى الشريف ضحك، وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذور، وجهز المملوك مع هدايا حسنة، فمدحه ابن منير بقوله:

(إلى المرتضى حثُّ المطِّى فإنه إمامٌ على كل البرية قد سما

ترى الناس أرضاً في الفضائل عنده ونجل الزكي الهاشمي هو السَّما)

وقد توهم بعضهم أن الشريف هو: (علي بن الحسين بن موسى الحسيني الموسوي المعروف بالشريف المرتضى أخو الشريف الرضي) وهو خطأ، إذ إن ابن منير لم يعاصر الشريف المذكور، لأن الشريف توفي سنة ٤٣٦هـ، وكانت ولادة ابن منير في سنة ٤٧٣هـ.

وفي الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٤ ص ٩ ـ ١٠، ما مضمونه:

(أن القصيدة في الشريف أبي الرضا بن الشريف أبي مُضر، وأنه كان نقيب الاشراف ومرجع الشيعة في العراق، وعن الروضات للخونساري: أنه أبو الرضا فضل الله الراوندي الذي كان حيّاً سنة ٥٤٨ للهجرة)

هذا وقد سبقه إلى بعض معاني القصيدة الخالديان أبو بكر

محمد الخالدي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ وأبو عثمان سعيد الخالدي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ، حيث مدحا الشريف محمد بن عمر الراوندي، فأبطأ عليهما بالجائزة، وأرادا الخروج إلى بعض الجهات، فدخلا عليه وأنشداه:

(قل للشريف المستجا ... رِ به إذا عُدم المَطَرْ
وابن الائمة من قريـ ... ـشٍ والميامين الغُرَرْ
أقسمت بالريحان والنّـ ... ـغمِ المضاعف والوَتَرْ
لئن الشريف مضى ولم ... ينعم بعبديه النَّظَرْ
لنشاركنّ بني أميـ ... ـة في الضّلال المشتهر
ونقول: لم يغضب أبو ... بكرٍ ولم يظلم عُمَرْ
ونرى معاوية إمـا ... ماً من يخالفه كفرْ
ونقول: إن يزيد ما ... قتل الحسين ولا أمرْ
ونعدّ طلحة والزبيـ ... ـر من الميامين الغررْ
ويكون في عنق الشريـ ... ـف دخولُ عبديه سقرْ)

خلاصة ما تقدم أمور:

الأمر الأول: أن عاشوراء اسم لليوم الذي خرج فيه نوح ومن معه من السفينة إلى اليابسة، وأن يوم عاشوراء كان معروفاً عند الأمم السابقة من قوم نوح وقوم يونس واليهود والعرب في جاهليتهم.

ويردّه: ما قاله الطريحي في جميع البحرين ج ٣ ص ٤٠٥:

(ويوم عاشوراء بالمدّ والقصر، وهو عاشر المحرم، وهو اسم إسلامي وجاء عشوراء بالمد مع حذف الألف التي بعد العين).

الأمر الثاني: استحباب صومه.

وفيه: كيف لم يعرف النبيﷺ فضل صوم هذا اليوم، وما جرى فيه حتى سأل اليهود، كما في مسند الإمام أحمد على ما نقله ابن رجب في كلام متقدم، بالإضافة إلى ما أورده ابن رجب في نفس المصدر السابق ص ٤٩:

(ففي صحيح مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا كان العام المقبل إن شاء صُمنا اليوم التاسع.

قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وهذا منافٍ لمقام رسول اللهﷺ حيث أنه صامه لأنه معظم عند اليهود ثم يتركه لأنه معظم عندهم.

فضلاً عما في كتاب الإقبال لابن طاووس ص ٣٣:

(ورأيت من طريقهم في المجلد الثالث من تاريخ النيشابوري للحاكم، في ترجمة نصر بن عبد الله النيشابوري، بإسناده إلى سعيد بن المسيب، عن سعد: أن النبيﷺ لم يَصُم عاشوراء).

وقال ابن رجب في كتابه المتقدم ـ مصدر سابق ـ ص ٤٨:

(وقال سعيد بن المسيب: لم يصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء، ورُوي عنه عن سعد بن أبي وقاص).

هذا مع نسبة الصوم إلى الطير والوحش، وهذا مما تضحك منه الثكلى ويؤكد عمى بصيرتهم وشدة نصبهم لآل البيت عليهم السلام.

الأمر الثالث: استحباب الاكتحال فيه، والتوسعة على العيال وزيادة النفقة، والصدقة، وأن موسى عليه السلام كان يلبس فيه الكتان ويكتحل فيه بالإثمد.

ويرده ما أورده السيد ابن طاووس في كتابه الإقبال ص ١٧:

(ورأيت في الجزء الثاني من تاريخ نيشابور للحاكم، في ترجمة الحسين بن بشير بن القاسم، قال الحاكم:

إن الاكتحال يوم عاشوراء لم يُروَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه أثرٌ، وهي بدعة ابتدعها قتلة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام).

وقال ابن رجب في كتابه المتقدم ـ مصدر سابق ـ ص ٥٢:

(وكل ما رُوي في فضل الاكتحال يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لا يصح).

وقال ابن حَجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ في الصواعق المحرقة ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠، في الأمر الرابع من أمور الخاتمة، بعد ما تكلم عن مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وبعد ما نسب إلى الشيعة من بدع الندب والنياحة والحزن:

(أو ببدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت، أو الجهال المقابلين الفاسد بالفاسد، والبدعة بالبدعة، والشّر بالشّر، من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذه عيداً، وإظهار الزينة فيه كالخضاب والاكتحال، ولبس جديد الثياب، وتوسيع النفقات، وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات، واعتقادهم أن ذلك من السنة والمُعتاد.

والسُّنة ترك ذلك كله، فإنه لم يرد في ذلك شئ يعتمد عليه، ولا أثرٌ صحيح يُرجع له.

وقد سُئل بعض أئمة الحديث والفقه عن الكحل والغسل والحناء وطبخ الحبوب ولبس الجديد، وإظهار السرور يوم عاشوراء، فقال: لم يرد فيه حديث صحيح عنه صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحدٍ من أصحابه، ولا استحب أحدٌ من أئمة المسلمين، لا من الأربعة ولا من غيرهم، ولم يرد في الكتب المعتمدة في ذلك صحيح ولا ضعيف.

وما قيل: إن من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام، ومن اغتسل لم يمرض كذلك، ومن وسّع على عياله وسّع الله عليه سائر سنته، وأمثال ذلك مثل فضل الصلاة فيه، وأنه كان فيه توبة آدم، واستواء السفينة على الجودي، وإنجاء إبراهيم من النار، وإفداء الذبيح بالكبش، وردّ يوسف على يعقوب، فكل ذلك موضوع، إلا حديث التوسعة على العيال، لكن في سنده من تكلم فيه، فصار لهؤلاء لجهلهم يتخذونه موسماً.

ـ إلى أن قال ـ : وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة، مع روايته خبر: إن من اكتحل بالإثم يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبداً، لكنه قال: إنه مُنكر.

ومن ثم أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الحاكم، قال بعض الحُفّاظ: ومن غير تلك الطريق.

ونقل المجد اللغوي، عن الحاكم، أن سائر الأحاديث في فضله ـ غير الصوم وفضل الصلاة فيه والإنفاق ـ والخضاب والإدهان والاكتحال وطبخ الحبوب كله موضوع ومفترى.

وبذلك صرّح ابن القيّم أيضاً، فقال: حديث الاكتحال والإدهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين).

وقال ابن تيميه المتوفى سنة ٧٢٨هـ في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٩ ـ ٣٠١

(مثل ما أحدث بعض أهل الأهواء في يوم عاشوراء من التعطش والتحزن والتجمع، وغير ذلك من الأمور المُحدثة ـ إلى أن قال ـ :

وأما اتخاذ أمثال أيام المصائب مأتماً فليس هذا من دين المسلمين، بل هو إلى دين الجاهلية أقرب، ثم هم قد فوّتوا بذلك ما في صوم هذا اليوم من الفضل، وأحدث بعض الناس فيه أشياء مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها، مثل فضل الاغتسال فيه، أو التكحل أو المصافحة، وهذه الأشياء ونحوها من الأمور المبتدعة، كلها مكروهة، والمستحب صومه ـ إلى أن قال:

لكن لا يجوز لأحدٍ أن يُغيّر شيئاً من الشريعة لأجل أحد، وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه: هو من البدع المحدثة المقابلة للرافضة.

وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة، وفي فضائل ما يُصنع فيه من الاغتسال والاكتحال وغير ذلك، وصححها بعض الناس كابن ناصر وغيره، ليس فيها ما يصحّ، لكن رُويت لأناس اعتقدوا صحتها، فعملوا بها ولم يعلموا أنها كذب)

وقال ابن تيميه أيضاً في منهاج السنة ج ٢ ص ٢٤٨:

(وأحدث هؤلاء السرور، ورووا أنه من وسّع على أهله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته، قال حرب الكرماني: سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، فقال: لا أصل له، وليس له إسناد ثابت، إلا ما رواه سفيان بن عينية، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه، أنه قال:

بلغنا أنه من وسّع على أهله، الحديث، وابن المنتشر كوفي سمعه، ورواه عمن لا يُعرف.

ورووا أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام.

فصار قومٌ يستحبون يوم عاشوراء الاكتحال والاغتسال والتوسعة على العيال، واتخاذ أطعمة غير معتادة، وهذه بدعة).

وقال ابن الحاج المتوفي سنة ٧٣٧هـ في كتابه المدخل ج ١ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩:

(وأما ما يفعلونه اليوم من أن عاشوراء يختص بذبح الدجاج وغيرها، ومن لم يفعل ذلك عندهم فكأنه ما قام بحق ذلك اليوم، كذلك طبخهم فيه الحبوب، وغير ذلك، ولم يكن السلف رضوان الله عليهم يتعرضون في هذه المواسم ولا يعرفون تعظيمها إلا بكثرة العبادة والصدقة والخير واغتنام فضيلتها، لا بالمأكول، بل كانوا يبادرون إلى زيادة الصدقة وفعل المعروف ـ إلى أن قال ـ :

ثم إنهم يضمون إلى ذلك بدعة أو محرماً، وذلك أنه يجب على بعضهم الزكاة مثلاً في شهر صفر أو ربيع أو غيرهما من شهور السنة، فيؤخرون إعطاء ما وجب عليهم إلى يوم عاشوراء ـ إلى أن قال ـ :

وما أحدثوه فيه ـ عاشوراء ـ من البدع زيارة القبور، ونفس زيارة القبور في هذا اليوم المعلوم بدعة مطلقاً للرجال والنساء، ثم ينضم إلى ما تقدم ذكره من خروج النساء على ما تقدم وصفه ما أحدثوه من اختصاص النساء بدخولهنّ الجامع العتيق بمصر، وهنّ على ما يعلم من عادتهن الخسيسة في الخروج من التحلي والزينة الحسنة والتبرج للرجال وكشف بعض أبدانهن، ويقمن فيه من أول النهار إلى الزوال

لا يشاركنّ فيه الرجال، ويتمسحن فيه بالمصاحف والمنبر والجدران وتحت اللوح الأخضر ـ إلى أن قال ـ :

ومن البدع التي أحدثتها النساء فيه استعمال الحناء على كل حال، فمن لم يفعلها منهنّ فكأنها ما قامت بحق عاشوراء، ومن البدع أيضاً :

محرهن ـ كذا ـ في الكتان وتسريحه وغزله وتبييضه في ذلك اليوم بعينه، ويشلنه ليخطن به الكفن، ويزعمن أن منكراً و نكيراً لا يأتيان من كفنها مخيط بذلك الغزل، وهذا فيه من الافتراء والتحكيم في دين الله ما هو ظاهر بيّنٌ لكل من سمعه فكيف بمن رآه.

ومما أحدثوه فيه من البدع البخور، فمن لم يشتره منهن في ذلك اليوم ويتبخر فكأنه ارتكب أمراً عظيماً، وكونه سنةً عندهن لا بدّ من فعلها، وادخارهن له طول السنة، يتبركن به ويتبخرن إلى أن يأتي مثلُه يوم عاشوراء الثاني، ويزعمن أنه إذا بخر به المسجون خرج من سجنه، وأنه يبرئ من العين والنظرة والمصاب والموعوك، وهذا أمرٌ خطرٌ لأنه مما يحتاج فيه إلى توقيف من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه، فلم يبقَ إلا أنه أمرٌ باطل فعلنه من تلقاء أنفسهن).

وقال ابن الحاج في نفس المصدر ص ٢٠٠ :

(فمن ذلك شراؤهن اللبن في أول ليلة من شهر المحرم، وهي أول ليلة من السنة، ويزعمن أن ذلك تفاؤل بأن تكون سنتهم كلها عليهم بيضاء، وهذا منهم بدعة وباطل ـ إلى أن قال ـ :

ومن ذلك شراؤهم الفُقّاع في تلك الليلة وذلك اليوم في أول السنة، فيفتحون فمه في البيت فيصعد ناحية السقف، ويزعمون أن الرزق يفور لهم في تلك السنة ويُوسّع عليهم فيها).

وقال ابن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ في كتابه (البداية والنهاية) ج ٨ ص ١٦٢:

(وقد عاكس الرافضة والشيعة يومَ عاشوراء النواصب من أهل الشام، فكانوا يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويغتسلون ويتطيبون، ويلبسون أفخر ثيابهم، ويتخذون ذلك اليوم عيداً، يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم).

والحاصل أن البعض معترف بأن هذه الأمور أو بعضها بدعة، وإن كان الآخر يستثنى شيئاً منها، إلا الصوم فقد اجمعوا على استحبابه، وتقدم صعفه بالإضافة إلى خبر جبلة المتقدم في أول هذه الفقرة، من أنه لا استحباب للصوم في هذا اليوم، نعم يستحب الإمساك عن الطعام والشراب كما يفعله أهل المصائب.

الأمر الرابع: إن أول من وضع هذه الأخبار هم الناس في زمن يزيد، كما خبر عبد الله بن الفضل الهاشمي المتقدم في أول هذه الفقرة، وهو لعنه الله شجّع على ذلك بدفع الجوائز لهم.

ويؤكده ما ورد في زيارة عاشوراء المعروفة، كما في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ص ٥٥٥:

(اللهم إن هذا يومٌ تبركت فيه بنو أمية، وابن آكلة الأكباد، اللعين ابن اللعين على لسانك ولسان نبيك ﷺ ـ إلى أن قال ـ :

وهذا يومٌ فرحت به آل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين صلوات الله عليه).

والمراد باللعين بن اللعين: هو يزيد بن معاوية لأن القتل تم في

زمنه، لا ما قد يتوهم أنه معاوية بن أبي سفيان.

والحجاج في زمن عبد الملك بن مروان سنّ لهم الدخول إلى الحمّام، ثم في زمن ملوك بني أيوب جعلوه يوم فرح وسرور وأحيوا ما أوجده بنو أمية من البدع.

وخلاصة هذه البدع: وضع أخبار بأن عاشوراء يوم عظيم عند السابقين، ويوم فرح وسرور، وهو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، ونجيّ فيه إبراهيم، وفدى إسماعيل بالكبش، واستقرت فيه السفينة على الجودي، وأخرج يونس من الحوت، وقُبلت فيه توبة داوود، وفلق الله البحر لبني إسرائيل، وأغرق آل فرعون ونجّى موسى وبني إسرائيل.

ووضع أخبارٍ في الاغتسال والاكتحال والادهان والخضاب، ووضع أخبار بالتوسعة على الأهل والأقارب والصدقة على اليتامى والمساكين، ووضع أخبار أنه يوم صوم، وقد صامه النبيﷺ عندما دخل المدينة ورأى اليهود يصومونه.

بالإضافة إلى وضع الأخبار ممارستُهم بالتزين فيه ولبس أفخر الملابس، والمصافحة، وقص الشعر، بل وقص شعر من يمرّ ويلاقيه، والاغتسال والاكتحال والتبخر، والتوسعة على العيال والأقارب، والصدقة، وجعل يوم عاشوراء يوم إخراج الزكاة، والسهر في طبخ الحبوب، وصنع أطعمة غير معتادة، والتبسط في المطاعم، وصنع الحلاوات، والطيبات، وإقامة الولائم والضيافات، وذبح الدجاج ونحوه، ودخول النساء في مصر إلى الجامع العتيق بزينة حسنة من أول النهار إلى الزوال، والتمسح بالمصاحف والمنبر والجدران وتحت اللوح الأخضر، واستعمال الحناء، وتحضير الكتان بتسريحه وغزله

لجعله كفناً، وأن منكراً ونكيراً لا يأتي من يلبس هذا الكفن، وزيارة القبور، وشراء بخور السنة في هذا العام، وادّخارهم المؤن لطول أيام السنة، مع صوم هذا النهار.

مع شراء اللبن في أول محرم تفاءلاً بجعل السنة بيضاء، وشراء الفُقّاع ـ وهو خمر استصغره الناس ـ في أول ليلة محرم أو أول يومٍ منه وفتحه في البيت حتى يصعد ناحية السقف.

محاربة النواصب فكرياً للشعائر الحسينية

قال ابن حجر الهيثمي المتوفي سنة ٩٧٤ هـ في الصواعق المحرقة ص ٣٣٥:

(قال الغزالي وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته، وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم، وهم أعلام الدين، تلقى الأئمة الدين عنهم، رواية، ونحن تلقيناه من الأئمة دراية، فالطاعن فيهم مطعون طاعن في نفسه ودينه).

وقال ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠:

(النوع الثالث: ما هو معظّم في الشريعة، كيوم عاشوراء ـ إلى أن قال ـ : فهذا الضرب قد يحدث فيه بعض أهل الأهواء في يوم عاشوراء من التعطش، والتحزن، والتفجع، وغير ذلك من الأمور المُحدثة، التي لم يشرعها الله ولا رسوله ولا أحدٌ من السلف ـ إلى أن قال ـ:

وأما اتخاذ أمثال أيام المصائب مآتماً فليس هذا من دين المسلمين بل هو إلى دين الجاهلية أقرب، ثم هم قد فوّتوا بذلك ما في صوم هذا اليوم من الفضل).

وقال في منهاج السنة ج ٢ ص ٢٤٧:

(فالواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع كما يحبه الله ورسوله، قال الله تعالى: وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وفي مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيذكر مصيبته، وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعاً، إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يومَ أصيب بها.

ورواية الحسين وابنته ـ التي شهدت مصرعه ـ لهذا الحديث آيةٌ، فإن مصيبة الحسين هي مما يُذكر وإن قَدِمت للمسلم أن يحدث لها استرجاعاً.

وأماما يكرهه الله ورسوله من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية، وتبرأ من الصالقة والحالقة والشاقة، فالصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة التي تحلق شعرها، والشاقة التي تشق ثيابها.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعاً من جرب، وسربالاً من قطران).

وقال في نفس المصدر ص ٢٤٨:

(بدعة الحزن والنوح يومَ عاشوراء، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاء المراثي، وما يُفضى إليه ذلك من سبّ السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب، حتى يسُبّ

السابقون الأولون، وتُقرأ أخبار مصرعه، التي كثير منها كذب، وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرّمه الله ورسوله).

وقال في نفس المصدر:

(والذين نقلوا مصرع الحسين زادوا شيئاً من الكذب، كما زادوا في قتل عثمان، وكما زادوا فيما يُراد تعظيمه من الحوادث، وكما زادوا في المغازي والفتوحات وغير ذلك.

والمصنفون في أخبار قتل الحسين منهم من هو من أهل العلم كالبغوي وابن أبي الدنيا وغيرهما، ومع ذلك فيما يرونه آثار منقطعة وأمور باطلة، وأما ما يرويه المصنفون في المصرع بلا إسناد فالكذب فيه كثير).

وقال مُحب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب (العواصم والقواصم) ص ٢٤٣: (نسأل الله أن يهدى هؤلاء الذين يجددون ذكرى هذه الكارثة من عام إلى آخر، وما يهلكون إلا أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة، وهو لا يشعرون، وخاصة أن الأمويين قد زالوا.

ولكن قبّح الله اليهودية والشعوبية فإنهما لا تزالان تعيشان فساداً في النفوس، لتحارب الإسلام والمسلين باسم نصرة آل البيت كذباً وزوراً).

وقال في نفس المصدر ص ٢٤٤:

(لا أدري سبباً معقولاً لتضخيم هذه المصيبة، على الرغم من فداحتها، بعد زوال الأمويين وملكهم، فهي مهما كان من أمرها لا

تُعدّ شيئاً مذكوراً بجانب المصيبة، باستشهاد الخلفاء عمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، فلماذا لا يقيمون عليهم ـ إذا كانوا مخلصين للإسلام ـ كل عام مأتماً وعويلاً، بعرفهم في تجديد المصيبة وإحياء ذكراها؟ ولا أدري أيضاً كيف يصح إقامة مثل هذه المآتم؟ وقد جاء النهي في أحاديث كثيرة عن الصياح وشق الجيوب ولطم الخدود، وغير ذلك من العادات الجاهلية.

ولكن لعن الله السياسة المتهافتة كيف تُضلّل أصحابها، وتسبب لهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ١٣٧:

(وهذه صفة مصرعه مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن، لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح والبهتان).

وقال في نفس المصدر ص ١٦٢:

(فكل مسلمٍ ينبغي له أن يُحزنه قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن، الذي لعلّ أكثره تصنع ورياء، وقد كان أبوه أفضل منه فقُتل، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قُتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قُتل وهو محصورٌ في داره أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين،

وقد ذُبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يومَ قتله مأتماً، وكذلك عمر بن الخطاب، وهو أفضل من عثمان وعلي، وقُتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحدٌ يومَ موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين ـ إلى أن قال ـ :

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين، عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من مسلم يُصاب بمصيبةٍ فيتذكرها وإن تقادم عهدها، فيحدث لها استرجاعاً، إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها، رواه الإمام أحمد وابن ماجة).

هذه عينة من كلامهم، وخلاصة ما فيها:

تحرم قراءة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، لما فيه من تهييج على بغض الصحابة، والطعن فيهم.

نسب ابن كثير وابن تيمية إلى الشيعة أعزهم الله الكذب في صفة مصرع الحسين عليه السلام.

ما تفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن أكثره تصنع ورياء.

اتخاذ المصيبة مأتماً ليس من دين المسلمين، والمراسم الحسينية بدعةٌ لأنه لم يؤمر بها، بل هي من أعظم المحرمات، والواجب الصبر والاسترجاع، وإلا فيجب إقامة مأتم لمقتل أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه أفضل من ابنه عليه السلام.

لا داعي للمأتم الحسيني والمراسم الحسينية بعد زوال الأمويين وملكهم.

اليهودية والشعوبية تحارب الإسلام والمسلمين باسم نصرة آل البيت عليهم السلام.

تحريم قراءة مقتل الحسين عليه السلام

أقول: إذا كان السبب في تحريم قراءة المقتل ما يترتب عليه من تهييج على بغض الصحابة والطعن فيهم، فهو ممنوع على إطلاقه، نعم فيه تهييج على بغض بعض الصحابة والطعن فيهم، وأي ضيرٍ في ذلك، بل هذا هو الواجب، وحتى يتضح، لا بدّ من معرفة من هو الصحابي وما حكمه.

من هو الصحابي؟

الصحابي مشتق من الصحبة، وتُطلق الصحبة بسبب المعاشرة، والمرافقة، والمتابعة، فتقول: صاحبي، أي معاشري في حياتي.

وتقول: صاحبي في الحج، أي مرافقي في الحج.

وتقول: أصحاب المذهب الفلاني، أي أتباعه.

هذا بحسب اللغة، وبحسب الشرع لم يرد فيه تحديد خاص في الكتاب أو السنة .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فالعامة لمّا حكموا بعدالة كل صحابي اضطروا إلى تحديد المراد من الصحابي، والمشهور عندهم أنه: من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، مسلماً، ومات على إسلامه.

وقيد (من لقي النبي في حياته): إخراجٌ لمن رأى النبي بعد موته، وقبل دفنه، كأبي ذؤيب الهذلي الشاعر، فلا يكون صحابياً.

وقيد (مسلماً):إخراجٌ لمن رأى النبي وهو كافر، كرسول قيصر فلا صحبة له.

وقيد (ومات على إسلامه): إخراجٌ لمن ارتد في زمن النبيﷺ بعد إسلامه.

ومرادهم من ملاقاة النبيﷺ اجتماع الصحابي به صلى الله عليه وآله في مكان واحدٍ، رآه أو لم يره، رآه عن قرب أو بُعد، روى عنه أو لم يروِ، غزا معه أو لم يغزُ، رآه وجالسه أو لم يجالسه، رآه وهو مميّز أو غير مميّز، ولذا ألحقوا محمد بن أبي بكر بالصحابة مع أنه وُلد قبل وفاة النبيﷺ بثلاثة أشهر وأيام، كما في كتاب (أضواء على السنة المحمدية) لمحمود أبي ريّة ص ٣٤١.

ما حكمه؟

ذهب الجمهور إلى عدالة كل صحابي، واستدلوا بالكتاب والسنة والاجماع.

أما الكتاب فبآياتٍ، منها: قوله تعالى: (محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار، رحماء بينهم، تراهم رُكعاً سُجداً، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلُهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يُعجب الزّارع ليغيظ بهم الكفار، وعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) الفتح آية ٢٩.

فاستدلوا بصدرها بعموم قوله تعالى: (والذين معه)، الذي يشمل كل صحابي .

وفيه: أن ذيلها مختص بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلا بد من حمل الصدر على الذيل لئلا يلزم التناقض.

بالإضافة إلى أن الصدر (والذين معه) موصوف بأوصاف ذكرتها الآية من الشدة على الغير والرحمة بينهم والركوع والسجود وابتغاء فضل الله ورضوانه، وهذه صفات لا تنطبق على كل صحابي.

ومنها: قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم، فانزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) الفتح آية ١٨.

وهذه الآية نزلت في بيعة الرضوان، المُسماة ببيعة الشجرة واستدلوا بها على رضا الله تعالى عن كل المبايعين.

وفيه: أن الرضا للمؤمنين المبايعين، وليس الرضا عن كل المبايعين، لأن فيهم منافقين.

ومنها: قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم) التوبة آية ١٠٠.

استدلوا بعمومها، وفيه: أنها مختصة بالسابقين من الصحابة، فضلاً عن أن عمومها مخصص، بدليل ذكر التابعين فيها، فلو كانت عامة لدلت على عدالة كل تابعي وهم لا يلتزمون به، وعليه فلا بدّ من تخصيصها بالإيمان والعمل الصالح كما هو مفاد الآيات الباقية.

ومنها: قوله تعالى: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوءا الدار والإيمان من قبلهم يُحبّون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يُوقّ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر آية ٨ ـ ٩.

وفيه: أنها مدحت المهاجرين بوصفهم يبتغون الفضل من الله مع نصرتهم لله ورسوله، ومدحت الأنصار بشرط إيمانهم ومحبتهم لمن هاجر، وبذلهم المال للمهاجر المحتاج، وعليه فالآية لم تمدح الصحابي مهما كانت حالتُه.

ومنها: قوله تعالى: (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً، لهم مغفرة ورزق كريم) الأنفال آية ٧٤.

وفيه: أنها مدحت الصحابي بشرط إيمانه وهجرته ومجاهدته إذا كان مهاجراً، وبشرط إيوائه المهاجرين ونصرته إذا كان أنصارياً، وعليه فلم تمدح مطلق الصحابي.

ومنها: قوله: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران آية ١١٠.

وقوله تعالى: (كذلك جعلناكم أمةً وسطاً) البقرة آية ١٤٣.

وجه الاستدلال أن الخطاب للمشافهين، وهم الصحابة، وعليه فهم خير أمة والأمة الوسط، وهذا يقتضي تعديلهم جميعاً.

وفيه: أن الخطاب لجميع المسلمين في كل العصور، لا

خصوص الصحابة في زمن النبيﷺ.

ولو سلم، فإنهم خير أمة لوجود المعصوم فيهم، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

وأما السُنة فبأخبار، منها: النبوي: (لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٠، باب فضائل الصحابة.

والنبوي الآخر: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلوُنهم، ثم الذين يلونهم) نفس المصدر ص ٢ ـ ٣.

والنبوي الثالث: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) نفس المصدر، ص ٣.

وفيه أن هذه الأخبار مردودة **أولاً**: لمعارضتها الكتاب، حيث يقول تعالى:

(وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين) آل عمران آية ١٤٤.

والآية أثبتت ارتداد قسمٍ من الصحابة بعد انتقال النبي الأعظم صلى الله علية وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، ومعه كيف يُحكم بعدالة من يرتدّ بعد وفاة النبيﷺ.

وثانياً: لمعارضتها الكتاب أيضاً، حيث جعل المدار على التقوى وليس على مطلق الصحبة، قال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات آية ١٣.

وثالثاً: لمعارضتها الكتاب أيضاً لوجود آياتٍ تُصرّح بوجود

منافقين بين الصحابة، بل نزلت سورة باسمهم، وهي سورة المنافقون، وكذلك سُميت سورة التوبة بالفاضحة، لأنها فضحت أحوال المنافقين من الصحابة، قال تعالى:

(وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة، مردوا على النفاق، لا تعلمهم نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين، ثم يُردّون إلى عذاب عظيم) التوبة آية ١٠١.

وقال تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم أنك لرسوله، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون، اتخذوا أيمانهم جُنّة فصدوا عن سبيل الله، إنهم ساء ما كانوا يعلمون، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) المنافقون آية ٣.

وفي صحيح البخاري ج ٩ ص ٧٢، كتاب الفتن، عن حذيفة اليماني، قال: (إن المنافقين اليومَ شرٌ منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يومئذ يُسرّون واليوم يجهرون).

وفي نفس المصدر، عنه قال: (إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان).

وفي هذين دلالة على أن النفاق في عهد النبي ﷺ بقي بعد ارتحاله النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وأنهم جهروا بنفاقهم، بعد الوفاة، ومع الجهر كفروا، وعليه فكيف يُحكم بعدالة هؤلاء من الصحابة.

رابعاً: لمعارضتها لنصوص نبوية، منها:

ما في صحيح البخاري ج ٧ ص ١٤٨، باب في الحوض، عن

النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

(أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعنّ رجالٌ منكم، ثم ليختلجُنّ دوني، فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

وفي نفس المصدر ص ٥٠ نبوي آخر:

(إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ عليّ أقوامٌ، أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم، ـ إلى أن قال _ فأقول: إنهم مني، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول:

سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي).

وفي نفس المصدر نبوي ثالث:

(يردُ عليّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي فيحلّؤن عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى).

وفي نفس المصدر، نبوي رابع، قريب من ألفاظ الثالث، وفي آخره:

(إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يُخلص منهم إلا مثل همل النعم).

وهذه الطائفة صريحة في أن الارتداد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، هو السبب في الاختلاج والحيلولة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يبقى منهم إلا القليل، لأن همل النعم هي: الأنعام المهمولة والضالة، وهي قليلةٌ بالنسبة لباقي القطيع.

وعليه فلأخبار التي تمسكوا بها على خيرية القرن الأول أو خيرية مطلق الصحابة مكذوبة على رسول الله عليه وآله وسلم لمخالفتها القرآن والسنة النبوية القطعية.

وأما الإجماع، قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة ج ١ ص ١٦٢:

(اتفق أهل السنة على أن الجميع عدولٌ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة).

وقال الخطيب البغدادي في الكفاية ص ٤٩، في عدالتهم:

(هذا مذهب كافة العلماء ومن بعدهم أبد الآبدين).

وفيه: أن إجماعهم بما هو اتفاق ليس بحجة، حيث لا دليل عقلي ولا نقلي على عصمتهم، كيف وقد أجمعوا على أمورٍ في العقائد والمفاهيم والأحكام مخالفة للكتاب والسنة النبوية والعقل.

وعليه فالحق ما ذهبت إليه الشيعة أعزهم الله من أن الصحابة على أقسام:

قسم: مؤمن على مراتب الإيمان، منهم قوي الإيمان ومنهم دون ذلك.

وقسم: منافق كما صرحت به الآيات القرآنية والأخبار النبوية.

وقسم: رجع عن الدين كما صرح به القرآن والخبر النبوي.

وقسم: مجهول الحال عندنا.

هذا من جهة ومن جهة أخرى لما كان النفاق مستوراً بين الصحابة في عهد النبيﷺ فلا بدّ من علامة يُعرف بها المنافق عن

غيره، فلذا جعل حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة للإيمان وبغضه علامة للنفاق، ففي صحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٣٤، باب ٢١ من أبواب كتاب المناقب، عن أم سلمة:

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يُحبّ علياً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن).

وفي صحيح مسلم ج ١ ص ٦١، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان:

(قال عليّ: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة أنه تعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ: أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق).

وفي مستدرك الصحيحين للنيسابوري ج ٣ ص ١٣٩، كتاب معرفة الصحابة، رقم الحديث (٤٦٤٣)، عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

(ما كنّا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه).

وفي صحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٣٥، باب ٢١ من كتاب المناقب، عن أبي سعيد الخدري، قال: (إنّا كنّا نعرف المنافقين ـ نحن معاشرَ الأنصار ـ ببغضهم عليّ بن أبي طالب).

ومن جهة ثالثة لما كان الارتداد ـ بمعنى مطلق الرجوع ـ سيحدث بعد انتقال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فلا بدّ من مائز يُعرف به المرتد بالمعنى المذكور عن غيره، فلذا كان التمسك بالقرآن وبالعترة النبوية علامة على المتمسك بدينه، والمُعرض عن القرآن والعترة النبوية

علامة عن المرتد المذكور.

ففي صحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٦٢، كتاب المناقب، عن جابر بن عبد الله قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحبته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي).

وفي نفس المصدر ص ٦٦٣٣، عن زيد بن أرقم وأبي سعيد، قالا:

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)

وفي مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٤٨، عن زيد بن أرقم قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)، وأخرجه عن زيد بن أرقم في نفس المصدر ص ١٠٩ ـ ١١٠، بتفاوت يسير، وفي مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

(إني أُوشك أن أُدعى فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظر وني بم تخلفوني فيهما).

وأخرجه عن أبي سعيد الخدري بتفاوت يسير في نفس المصدر ص ٥٩.

ولما أعرض الناس عن الثقلين بعد وفاة النبيﷺ، فاعرضوا عن الثقل الأصغر حتى وصل أمر الخلافة إلى يزيد الكافر السكير، وأعرضوا عن الثقل الأكبر حتى وصل أمر الشريعة إلى ضياع، ففي صحيح البخاري ج ١ ص ١٤١، باب تضييع الصلاة عن وقتها، عن غيلان، عن أنس، قال:

(ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قيل: الصلاة؟ قال: أليس ضيّعتُم ما ضيعتم فيها).

وفي نفس المصدر: سمعت الزهري يقول: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق، وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركتُ إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيّعت).

وفي صحيح البخاري ج ١ ص ١٦٦، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، عن الأعمش، قال: سمعت سالماً، قال: سمعت أم الدرداء تقول: دخل عليّ أبو الدرداء وهو مُغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً).

وفي صحيح البخاري، ج ٢ ص ٢٢، باب الخروج إلى المُصلى بغير منبر، عن أبي سعيد الخدري قال:

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يومَ الفطر والأضحى إلى المُصلى، فأول شئ يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف، فيقوم مُقابل الناس، والناس جلوسٌ على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم ـ إلى أن قال ـ:

فلم يزل الناس على ذلك، حتى خرجت مع مروان، وهو أمير المدينة، في أضحى أو فطر، فلما أتينا المُصلى إذا منبرٌ بناه كثيرُ بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يُصلّي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة.

فقلت له: غيّرتم واللهِ، فقال: أبا سعيد، قد ذهب ما تعلم.

فقلت: ما أعلم والله خيرٌ مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتُها قبل الصلاة).

وهي صريحة في تغيير أحكام الدين، هذا كله في عهد الصحابة، فأي عدالة ثابتة للجميع، مع العلم لم نورد كل النصوص المتعلقة بالأبحاث المتقدمة وإنما اكتفينا ببعضها ومن أوثق كتبهم.

وبعد هذا العرض فإذا كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام فيه كشف لزيف حركة النفاق وحركة الارتداد، وهذا ما حدث فعلاً فأي ضير في قراءة المقتل وتعليم الأجيال ذلك.

الافتراء على الشيعة بنسبة الكذب إليهم

وأقول: ما نسبه ابن كثير وابن تيميه إلى الشيعة من الكذب في صفة مصرع سيد الشهداء عليه السلام ليس في محله.

لأنه افتراء عليهم، حيث إن الشيعة ـ أعزهم الله ـ يعتمدون في نقل أخبار مقتل سيد الشهداء عليه السلام وأخبار غيره على المصادر التاريخية التي يعتمد عليها بقية المسلمين، وليس لنا كتبٌ تاريخية خاصة قال الناصبي أبو بكر بن عربي في العواصم ص ٢٦٠: (ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري).

وهذا الناصبي المفتري ابن كثير بعدما افترى على الشيعة بما افترى من الكذب في صفة مصرعه عليه السلام اعتمد على تاريخ الطبري الذي أورد أخبار أبي مخنف برواية هشام، هي أخبار مستقاة من مقتله، ثم قال في كتابه (البداية والنهاية) ج ٨ ص ١٦١:

(وللشيعة الرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة، وفيما ذكرنا كفاية، وفي بعض ما أوردناه نظرٌ، ولولا أن ابن جرير ـ الطبري ـ وغيره من الحفّاظ والأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن

ممن بعده، والله أعلم).

وفي كلامه تهافت واضح، لأن أبا مخنف إذا كان حافظاً ويعتمد عليه كثير من المصنفين فَمَ معنى الحكم عليه بأنه ضعيف الحديث عند الأئمة، وهم أنفسهُم قد اعتمدوا عليه عندما قال: (ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره، من رواية أبي مخنف).

نعم ألفّ بعض الشيعة كتباً في صفة مصرعه عليه السلام باسم المقاتل، ولم ينفردوا بذلك، فبعض العامة كتب كذلك كتباً باسم (المقتل) في صفة مصرعه عليه السلام، راجع القسم الأول في الجزء الأول من هذا الكتاب.

هذا وبقية المؤرخين كالمسعودى واليعقوبي والبلاذري وأبي الفرج الأصفهاني وابن أعثم قد اعتمد عليهم العامة في الكثير من أبحاثهم وكتبهم فأين الخطأ للشيعة إذا اعتمدوا على هؤلاء المذكورين في صفة مصرع سيد الشهداء عليه السلام.

نعم خطأ الشيعة عند النواصب أنهم اعتمدوا على هذه المصادر وفيها أخبار كفر يزيد وسوء حاله وقتل سيد الشهداء بداعي الانتقام من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعتمدوا على الكتب التاريخية التي كتبت بروح أموية، إما بحذف أخبار مقتل سيد الشهداء كما في تاريخ ابن زرعة، أو بجعل الأمر دائراً بين الأمام عليه السلام وابن زياد مع تبرئة يزيد لعدم علمه، إلى غير ذلك من ألوان التلاعب بأخبار النهضة، راجع خلاصة بحث القسم الأول من الجزء الأول من هذا الكتاب.

الافتراء على الشيعة بنسبة الرياء إليهم

وأقول: ما نسبه كثير إلى الشيعة من أن إظهار الجزع والحزن أكثره تصنعٌ ورياء افتراء عليهم، لأن الرياء والإخلاص من الأعمال القلبية التي لا يطلع عليها إلا الله جلّ وعلا.

فمن أين عرف ابن الأثير دواعي ودوافع الشيعة في إقامة الشعائر الحسينية، فهل أخبروه عن نيتهم، ولو كان كذلك لصرّح بذلك ودوّن اعترافهم، أو أن النصب أعمى بصيرته ـ وهو كذلك ـ فنسب إلى الشيعة ما لا تقبل ساحتهم به، نعم الرياء والتصنع بغيرهم أليق وعليه شواهد من أفعالهم وأقوالهم، من كتابة التاريخ تبعاً لهوى السلطان والخليفة إلى ممارسة عبادات اللهو والرقص تحت اسم التصوف.

هل المراسم الحسينية بدعة

وأقول: حكم النواصب أو بعضهم ببدعة المراسم الحسينية، بل هي من أعظم الحرمات، والواجب الصبر والاسترجاع فقط، وإلا فيجب إقامة مأتم لمقتل أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه أفضل من ابنه الحسين عليه السلام.

وفيه: لا بدّ من معنى البدعة، وعلى ضوئه يُعرف حكم المراسم الحسينية.

معنى البدعة وحكمها

البدعة في الدين: إدخال في الدين ما ليس منه.

وهي من المحرمات بل من الكبائر، حث توعد عليها النبيﷺ بالنار.

ومما يدل على حرمتها قوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب، هذا حلال وهذا حرام، لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**﴾ [النحل: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿**قل أريتم ما أنزل الله لكم من رزق، فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون**﴾ [يونس: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿**ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها**﴾ [الحديد: ٢٧].

فالمبتدع يفتري على الله الكذب بنسبة شيء إليه، وهو غير صادر منه، بل ينازل المولى جلّ وعلا سلطانه في التشريع، والله يقول: ﴿**إن الحكم إلا لله**﴾ [يوسف: ٤٠].

والأخبار على حرمتها كثيرة، منها: (خطبنا رسول اللهﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها،

وكل بدعة ضلالة) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٣٨١، تحت رقم ١٤٣٤٦.

ومنها: خبر صادقي (صعد رسول الله ﷺ المنبر فتغيرت وجنتاه، والتمع لونه، ثم أقبل بوجهه فقال: يا معشر المسلمين، إنما بُعثت أنا والساعة كهاتين، ثم ضمّ السبّاحتين، ثم قال:

يا معشر المسلمين، إن أفضل الهدى هدى محمد، وخير الحديث كتاب الله، وشر الأمور محدثاتها، ألا وكل بدعة ضلالة، ألا وكلُ ضلالة ففي النار، أيها الناس، من ترك مالاً فلأهله ولورثته، ومن ترك كلاًّ أو ضياعاً فعليّ وإليّ) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٦٣، حديث ١٢، باب ٣٢، من كتاب العلم.

والسباحة هي المسبّحة، وهي الإصبع التي تلي الإبهام، سُميت بذلك لأنه يشار بها عند التسبيح، والغرض من ضم السبابتين وأنه ﷺ كالساعة مثلهما أن دينه ﷺ متصلاً بقيام الساعة لا ينسخه دين آخر، أو أن الساعة قريبة بالنسبة لبعثته.

ولفظ (محدثاتها): مبتدعاتها.

والحاصل: أن كل رأي أو دين أو حكم أو عبادة لم يرد من الشارع نص بخصوصه أو في ضمن حكم عام فإسناده إلى الدين وأن حكمه كذا يكون بدعة وهو عمل محرم.

وعليه فالشعائر الحسينية مما ورد فيها النص من أئمة آل البيت عليهم السلام، الذين هم الثقل الأصغر الذي أمرنا باتباعه مع الثقل الأكبر الذي هو القرآن، وقد تقدم الكلام في نصوص الثقلين، وفي نصوص الشعائر الحسينية، كلٌ في مكانه، ومع الحكم الشرعي بالشعائر المذكورة لا تكون بدعة كما قال النواصب، بل البدعة في ترك

نصوص الثقلين ووضع نصوص توجب قدسية رأي الصحابي مهما كانت حاله.

وأما إقامة المأتم لمقتل سيد الشهداء عليه السلام دون مقتل أبيه عليه السلام ودون مقتل بقية الأئمة عليهم السلام فواضح.

لما مورس من الوحشية والظلم والقتل وقطع الرؤوس ورضّ الصدور في مقتل سيد الشهداء وهذا ما لم يقع في مقاتل بقية المعصومين، فضلاً عن أن نصرة الدين وكشف زيف حركة النفاق وكشف حركة الرجوع عما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإمامة متوقف على قتلهم سيدَ الشهداء عليه السلام كما أشرنا إليه سابقاً، وهذا ما لم يكن موجوداً في مقاتل بقية المعصومين، وإن كان قتلُهم عليهم السلام ضمن حركة صراع الباطل ضد الحق الإسلامي المتجسد فيهم.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أورد الحاكم النيسابوري في المستدرك ج ٣ ص ١٩٤، بإسناده عن أم الفضل بنت الحارث:

(أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، إني رأيتُ حلماً مُنكراً الليلة، قال: ما هو؟ قالت: أنه شديد.

قال: ما هو؟

قالت: رأيتُ كأن قطعة من جسدك قُطعت ووُضعت في حجري.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأيتِ خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً، فيكون في حجرك.

فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع.

قالت: فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي ما له؟

قال: أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا.

فقلت: هذا؟

فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء).

وأورد ابن سعد في مقتل الإمام الحسين عليه السلام المستلّ من الطبقات الكبرى ص ٤٦ تحت رقم ٢٧١، بإسناده عن عائشة:

(قالت: بينا رسول الله ﷺ راقدٌ إذ جاء الحسين يحبو إليه فنحيته عنه، ثم قمت لبعض أمري، فدنا منه فاستيقظ يبكي، فقلت: ما يبكيك؟

قال: إن جبرئيل أراني التربة التي يُقتل عليها الحسين، فاشتد غضب الله على من يفسك دمه، وبسط يده فإذا فيها قبضة من بطحاء، فقال:

يا عائشة، والذي نفسي بيده إنه ليحزنني، فمن هذا من أمتي يقتل حسيناً بعدي) وأورد الطبراني في مقتل الإمام الحسين عليه السلام المستل من المعجم الكبير، ص ٤٦ تحت رقم ٥٢ بإسناده عن أم سلمة:

(كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي رسول الله ﷺ في بيتي، فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد، إن أُمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأومىء بيده إلى الحسين.

فبكى رسول الله ﷺ وضمّه إلى صدره، ثم قال رسول الله ﷺ: وديعة عندك هذه التربة.

فشمها رسول الله ﷺ وقال: ويحَ كرب وبلاء، وقال: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد فختل، فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوم تُحوّلين دماً ليومٌ عظيم).

ومثلها غيرها وهو كثير، ولكنها تصرح ببكاء النبي ﷺ على الحسين عليه السلام عند إخباره بمقتله، وببكائه ﷺ على قتل الحسين عليه السلام قبل الوقوع، وعلى تكرار بكائه في أوائل ولادته وحين حبوه، وعندما كان صبياً يلعب.

فالذي أسس إقامة المأتم على سيد الشهداء هو رسول الله ﷺ، ورسول الله هو الأسوة الحسنة بالنص القرآني، فانظروا ـ أيها النواصب ـ ما أنتم فاعلون، واعلموا أن محاربة هذه الشعائر هي محاربة لرسول الله ﷺ.

وإلا فقد أُخبر الرسول ﷺ بمقتل أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبمقتل ابنه الحسن عليه السلام ولم يبكِ عند الإخبار، وهذا هو الفارق الشرعي بين مقتل الحسين ومقتل أبيه عليهما السلام، وهذا هو السبب الشرعي في جعل مقتل الحسين عليه السلام مأتماً في كل عام، فتكون إقامة المأتم من الدين وليس من فعل الجاهلية كما قالت النواصب .

ومنه تعرف خبث النصب في مؤلف ومختصر التحفة الإثنى عشرية (الدهلوي والألوسي) ص ٢٨ حيث قال:

(وإقامتهم حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور،

وضرب الصدور، وما أشبه ذلك مما يصدر منهم في العشرة الأولى من المحرم، ويعتقدون أن ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى، وتُكفّر به سيئاتهم وما يصدر عنهم من الذنوب في السنة كلها، وما دروا أن ذلك موجب لطردهم من رحمة الله تعالى، كيف لا، وفيه هتك لبيت النبوة واستهزاءٌ بهم، ولله تعالى دَرُّ من قال:

هتكوا الحسين بكل عام مرَّة   وتمثلوا بعداوةٍ وتصوّروا
ويلاه من تلك الفضيحة إنها   تُطوى، وفي أيدي الروافض تُنشر)

وردّ عليه الشيخ محمد رضا المظفر مشطراً على ما في أدب الطف ج ١ ص ٢٧:

("هتكوا الحسين بكل عام مرة"   قومٌ على تلك المآتم أنكروا
قد حرموا فيه المواكب والبكا   "وتمثلوا بعداوة وتصوروا"
"ويلاه من تلك الفضيحة إنها"   ابداً على مرّ الليالي تُذكر
أحسبتم آثار هذا الدين أن   "تطوى وفي أيدي الروافض تنشر")

وردّ عليه السيد جواد شبر في نفس المصدر والصفحة:

("هتكوا الحسين بكل عام مرةً"   إذ تبعث الذكرى فظائع تذكر
قد حاربوه وهو بضعة أحمد   "وتمثلوا بعداوة وتصوروا"
"ويلاه من تلك الفضيحة أنها"   عارٌ بوجه أمية لا يُنكر
يا ساتراً وجه الحقيقة لا تخلْ   "تُطوى وفي أيدي الروافض تُنشر")

والأعجب من نصب السابق كفر القائل، على ما في أدب الطف ج١ ص ٢٦.

(لا عذّب الله يزيداً ولا   مدت يد السوء إلى رحله
لأنه قد كان ذا قدرة   على اجتثاث الفرع من أصله

لكنه أبقى لنا مثلكم   عمداً لكي يُعذر في فعله)

وردّ عليه عبد الله بن سعد الخفاجي الحلبي، صاحب قلعة إعزاز، له شعر في أمير المؤمنين عليه السلام، متوفى سنة ٤٦٦ هـ بقوله على ما في نفس المصدر السابق والصفحة:

(يا قاتل الله يزيداً ومن   يعذره الكافر في فعله
أطفأ نوراً بعضه مشرق   يدل بالفضل على كله
والله أبقى الفرع حرباً على   من رام قطع الفرع من أهله
ليظهر الدين به والهدى   ويجعل السادة من نسله)

الداعي لإقامة المأتم الحسيني بعد زوال الأمويين وملكهم

وأقول: دعوى عدم الداعي لإقامة المأتم الحسيني بعد زوال الأمويين وملكهم ليس في محلها.

لأن الروح الأموية القائمة على العداء لآل البيت عليهم السلام ومحاربتهم وطمس معالم شخصيتهم وإخفاء أدلة إمامتهم وفضائلهم ما زالت موجودة، فإذا كان المأتم الحسيني مبرراً عند وجود الأمويين فهو مبرر عند وجود الروح الأموية.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فالأسباب التي دعت سيد الشهداء عليه السلام إلى الخروج المؤدي للقتل ما زالت قائمة من غصب الخلافة والتلاعب بدين الله عقيدة ومفهوماً وحكماً.

ومن جهة ثالثة قال ابن طاووس في كتاب الإقبال ص ٦٠:

(فإن قيل: فعلام تجددون قراءة المقتل والحزن كل عام فأقول:

لأن قراءته هو عرض قصة القتل على عدل الله جلّ جلاله، ليأخذ بثأره كما وعد من العدل، وأما تجدد الحزن كل عشر، والشهداء صاروا مسرورين، فلأنه مواساة لهم في أيام العشر، حيث كانوا فيها ممتحنين، ففي كل سنة ينبغي لأهل الوفاء أن يكونوا وقت الحزن محزونين، ووقت السرور مسرورين).

نصرة آل البيت من لوازم التشيع

وأقول: دعوى أن اليهودية والشعوبية تحارب الإسلام والمسلمين باسم نصرة آل البيت عليهم السلام كلام مما يهتز منه عرش الجليل جلا وعلا، لأن النصرة من لوازم التشيع، والتشيع هو الإسلام الصحيح، وهذا ما يفرض علينا البحث في نشوء التشيع وما قيل فيه.

الأرجيف على التشيع

أُرجف علينا من العامة في نشوء التشيع بأوهام، حيث زعم البعض أن التشيع برز نتيجة الصراع السياسي، وآخر: أنه نتيجة الجدل الكلامي، وثالث: أنه نتيجة التأثير الخارجي عن الإسلام والمسلمين.

واعتبروا التشيع ظاهرةً طارئةً على الإسلام والمسلمين بتوهم سببين:

الأول: الشيعة فئة قليلة بين المسلمين، والفئة الكثيرة هم السُّنة، وهذا كاشف عن طروء التشيع على الإسلام والمسلمين.

وفيه: أن اتخاذ الكثرة مقياساً للحق ليس في محله، لذم الكثرة حيث يقول الله تعالى: (ولكن أكثره لا يشكرون) النمل آية ٧٣.

ويقول تعالى: (وإن كثيراً من الناس لفاسقون) المائدة آية ٤٩.

ويقول تعالى: (وأكثرهم للحق كارهون) المؤمنون آية ٧٠.

ومدح القلة، قال تعالى: (وقليلٌ من عبادي الشكور) سبأ آية ١٣.

وقال تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) ص آية ٢٤.

التوهم الثاني: الشيعة فئة معزولة عن الحكم، وعن بناء الحضارة الإسلامية بشقيها الثقافي والسلوكي، وهذا كاشف عن طروء التشيع على الإسلام والمسلمين.

وفيه: أن اتخاذ الأمر الواقع مقياساً للحق ليس في محله، ففي استلام الحكم بعد انتقال النبيﷺ إلى الرفيق الأعلى قال تعالى: (وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) آل عمران آية ١٤٤.

والانقلاب تحقق في غصب الخلافة، وكل الواقع السياسي بُني على هذا الانقلاب إلى حين سقوط الخلافة الإسلامية بسقوط الخلافة العثمانية.

وأما بناء الحضارة الإسلامية ففي شقها الثقافي راجع كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) للسيد حسن الصدر لتعرف أن الذين أسسوا علوم الحضارة الإسلامية هم من الشيعة.

وفي شقها السلوكي راجع كتب التراجم والرجال لترى رجال الشيعة هم السباقون في بناء الشق السلوكي للحضارة الإسلامية.

وعلى كلٍ فقيل: إن التشيع برز بعد وفاة النبيﷺ، وبالتحديد بعد السقيفة، وإليه ذهب محمد علي أبو ريّان في تاريخ الفكر الفلسفي ص ١٢٥.

وقيل: إن التشيع ظهر في زمن عثمان بعد وقوع الفتنة بين المسلمين، وإليه ذهب ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، على ما في هوية التشيع للوائلي ص ٢٥.

وقيل: إنه ظهر في زمن أمير المؤمنين عليه السلام بعد وقعة الجمل،

نقله ابن النديم في الفهرست ص ٢١٧، عن محمد بن إسحاق، وأورده على نحو الإقرار به.

وقيل: إنه ظهر في زمن أمير المؤمنين في وقعة صفين سنة ٣٧ هـ، وإليه ذهب عبد العزيز الدهلوي، نقلاً عن التشيع للغريفي ص ٢٧.

وقيل: إنه برز عقيب استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، عند بروز حركة التوابين، وإليه ذهب مصطفى الشبيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) ج ١ ص ٢٩، وبروكلمان في (تاريخ الشعوب الإسلامية) ص ١٢٨

وقيل: إنه ظهر زمن الإمام الصادق عليه السلام نتيجة الجدل الكلامي، والذي بذر بذرته هشام بن الحكم، كما ذهب إليه محمد عمارة في (الإسلام وفلسفة الحكم) ص ١٥٨.

وقيل: إنه يرجع إلى تأثير اليهود، كما ذهب إليه محمد فريد وجدي في دائرته ج ٥ ص ١٧، واحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٧٦.

وقيل: إنه يرجع إلى تأثير الفرس الذين دخلوا الإسلام، فادخلوا فيه مفهوم الوارثة للخلافة، وإليه ذهب غالب المستشرقين، وتابعهم عليه أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية) ج ١ ص ٤١.

وكلام محب الدين الخطيب في اليهودية والشعوبية التي تحارب الإسلام والمسلمين باسم نصرة آل البيت عليهم السلام مستند على القولين الآخرين.

حقيقة نشوء التشيع

التشيع برز على يد رسول الله ﷺ، كامتداد طبيعي للدعوة الإسلامية، وإكمالٍ لبناء مجتمع إسلامي.

ففي تفسير الطبري ج ٣٠ ص ١٧١، عند نزول قوله تعالى: (أولئك هم خير البرية) البينة آية ٧.

(فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنت ـ يا علي ـ وشيعتك)

وفي الدُرِّ المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٦٤٣:

(أخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي ﷺ، فأقبل عليّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية.

فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا أقبل علي، قالوا: جاء خير البرية).

وفي نفس المصدر:

(اخرج ابن عدي عن ابن عباس، قال: لما نزلت " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية "، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لعليّ: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين).

وفي نفس المصدر:

(أخرج ابن مردويه، عن عليّ، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تسمع قول الله " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية "، أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جيئت الأمم للحساب، تُدعون غُرّاً محجلين).

وأورد الحاكم الحسكاني هذه الأحاديث وطرقها من كتب العامة في كتابه (شواهد التنزيل) ج ٢ ص ٣٥٦ ـ ٣٦٦.

ولذا قال أبو حاتم السحبتاني الرازي في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ج ٣ ص ١٠، طبع مصر، نقلاً عن التشيع للغريفي ص ٣٦.

(إن أول اسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة، كان هذا لقب اربعةٍ من الصحابة: أبو ذر وعمار ومقداد وسلمان الفارسي).

معنى التشيع والشيعة

لفظ الشيعة ـ بحسب اللغة ـ هم القوم الذين اجتمعوا على أمرٍ، قال ابن منظور في لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٧٧ :(وكل قومٍ اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة).

وعلى هذا المعنى اللغوي ورد قوله تعالى: (سلامٌ على نوح في العالمين، إنّا كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين، ثم أغرقنا الآخرين، وإن من شيعته لإبراهيم، إذ جاء ربه بقلبٍ سليم). الصافات آية ٧٩ ـ ٨٤.

أي: أن إبراهيم من شيعة نوح، لأنهما اجتمعا على أمرٍ واحد، وهو الدين .

وورد قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: (فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته، وهذا من عدوّه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فوكزه موسى فقض عليه) القصص آية ١٥.

أي: أن موسى عليه السلام والإسرائيلي من شيعة واحدة، لأنهما مجتمعان على الإيمان بيعقوب عليه السلام.

ولفظ الشيعة ـ بحسب الوضع الشرعي ـ باعتبار صدوره من رسول الله صلى الله عليه وآله هم: من آمن بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وبنيه المعصومين

عليهم السلام، ولازمه الحب لهم ومتابعتهم في أقوالهم وأفعالهم.

قال ابن منظور في لسان العرب، المصدر السابق:

(وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عُرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا: أي عندهم.

إلى أن قال ـ : قال الأزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويُوالونَهم).

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) الطبعة الثانية المحقّقة، ص ١٨٧:

(ومن الغني عن البيان أنه لو كان مراد صاحب الرسالة من شيعة علي عليه السلام من يحبه، أو لا يبغضه ـ بحيث ينطبق على أكثر المسلمين، كما تخيله بعض القاصرين ـ لم يستقم لفظ " شيعة "، فإن صرف محبة شخص لآخر، أو عدم بغضه لا يكفي في كونه شيعة له، بل لا بّد هناك من خصوصية زائدة، وهي: الاقتداء والمتابعة له، بل ومع الالتزام بالمتابعة) انتهى.

أقول: المتابعة والالتزام بها مما لها الدخل في تحقق الشيعي الكامل، وإلا ـ كما عرفت ـ يكفي نفس الاعتقاد بالإمامة.

وعلى كلٍ مما تقدم تعرف ضعف ما قاله صبحي الصالح في كتابه (النظم الإسلامية) ص ٩٦:

(وإذا فرضنا أن كل من أحبّ علياً أو فضّله من الصحابة متشيعٌ له، فقد كان بين الصحابة حتى في عهد النبي شيعة لربيبه عليّ، منهم أبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبد الله، وأُبي بن

كعب، وأبو ياسر، وأبو أيوب الأنصاري.

وفي وسعنا أن نتصور أن الفكرة بدأت محبة، وأن المحبة أصبحت هياماً، والهيام استحال عشقاً، والعشق غلو وتقديساً، ومن خلال هذه المعاني بدأت الأفكار العاشقة الولهى تتخذ صوراً حزبية وعصبية).

ووجه الضعف أنه جعل مدار التشيع على الحب ثم زيد فيه من قبل معتنقيه حتى جعلوه حزباً، وقد عرفت أن التشيع قائم على الاعتقاد بالإمامة كما هو مفاد نصوص حديث الغدير، والشيعة لم يزيدوا شيئاً على التشيع، بل هو عين ما أسسه رسول الله ﷺ.

والأعجب منه قول ابن تيميه في منهاج السنة ج ٢ ص ١١٦:

(لا نسلم أن الأمامية اخذوا مذهبهم من أهل البيت، لا الإثنا عشرية ولا غيرهم، بل هم مخالفون لعلي رضي الله عنه، وأئمة أهل البيت في جميع أصولهم، التي فارقوا فيها أهل السنة والجماعة، توحيدهم وعدلهم وإمامتهم).

وقول ابن حجر الهيثمي في الصواعق الحرقة في ذيل الآية الثامنة من الآيات الواردة في آل البيت عليهم السلام ص ٢٣٥:

(ولا تتوهم الرافضة والشيعة ـ قبحهم الله ـ من هذه الأحاديث أنهم يحبون أهل البيت، لأنهم أفرطوا في محبتهم حتى جرّهم ذلك إلى تكفير الصحابة وتضليل الأمة ـ إلى أن قال ـ وهؤلاء الضالون الحمقى أفرطوا فيه وفي أهل بيته فكانت محبتهم عاراً عليهم وبواراً، قاتلهم الله أنى يؤفكون).

وقال في نفس المصدر ص ٢٣٦:

(وشيعته هم أهل السُّنة، لأنهم أحبوهم كما أمر الله ورسوله، وأما غيرهم فاعداؤه في الحقيقة، لأن المحبة الخارجة عن الشرع الحائدة عن سنن الهدى هي العداوة الكبرى).

والحاصل: أن السبب الذي اعتمدوا عليه في عدم كون الأمامية شيعةً لأهل البيت عليهم السلام أحد أمرين، إما لأن الأمامية لم يأخذوا عقائدهم وأحكامهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وإما لأن الأمامية كفّروا الصحابة ولا يحبونهم، ويخصون الحب لعليّ وبنيه المعصومين عليهم السلام.

من هم الشيعة

وكلا السببين باطل، أما **الأول**:

فهذه كتب الأمامية في العقائد والأحكام كلُها مستندة إلى أقوال علي وبنيه المعصومين عليهم السلام، فدعوى العكس إنكارٌ للعيان.

وأما الثاني:

فالأمامية يُطلق عليهم أسماء منها: الإمامية، لإتباعهم أهل البيت عليهم السلام عقائدياً وفقهياً، ومنها: الاثنا عشرية، لاعتقادهم بإمامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، في قبال مذهبين آخرين، وهما الزيدية والإسماعيلية.

ومنها: الخاصة، لأنهم فرقة خاصة بين عموم المسلمين، وهم الأحق بلفظ (السُّنة)

لاتباعهم سُنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته عليهم السلام .

ومنها: الشيعة، لأنهم يتولون علياً وبنيه المعصومين عليهم السلام، بمعنى الاعتقاد بإمامتهم، ومن لوازمه محبتهم والاقتداء بهم قولاً وعملاً، ويشهد له قول ابن منظور والأزهري المتقدم.

ومنها: الرافضة والروافض، لأنهم يرفضون من عادى علياً من الصحابة وغيرهم قال السيد الحميري ـ كما في ديوانه ص ٤١١ ـ:

(عـــــلـــــيُّ وأبـــــو ذر ومــقــداد وسـلــمــان
وعــبّــاس وعــمّــار وعــبــد الــلــه اخــوانُ
دعـوا فـاسـتـودعـوا عـلـمـاً فــأدوه ومــا خــانــوا
فـصـلّـى رب جـبـريـل عـلـيـهـم مـعـشـر بـانـوا
أديـن الـلـه ذا الـعـزة بـالـديـن الـذي دانـوا
وعـنـدي فـيـه إيـضـاح عـن الـحـق وبـرهـان
ومـا يـجـحـد مـا قـد قـلـت فـي الـسـبـطـيـن إنـسـان
وإن أنـكـر ذو الـنـصـب فـعـنـدي فـيـه عـرفـان
وإن عـدوه لـي ذنـبـاً وحـال الـوصـل هـجـران
فـلا كـان لـهـذا الـذنـب عـنـد الـقـوم غـفـران
وكـم عُـدّت إسـاءات لـقـوم وهـي إحـسـان
وسِـرّي فـيـه يـا راعـي ديـن الـلـه إعـلان
فـحـبـي لـك إيـمـان ومـيـلـي عـنـك كـفـران
فـعـدّ الـقـوم ذا رفـضـاً فـلا عـدوّا ولا كـانـوا)

وفي أعيان الشيعة ج١ ص ٢١:

(وفي كتاب بشارات الشيعة: ما أحسن ما ذكره الثعلبي، بإسناده قال: أنشدني أحمد بن إبراهيم الجر جاني، قال: أنشدني منصور الفقيه لنفسه:

إن كـان حـبـي خـمـسـة زكـت بـهـم فـرائـضـي
وبـغـض مـن عـاداهـم رفـضـاً فـإنـي رافـضـي)

فحب عليعليه السلام وبغض من عاداه من الصحابة وغيرهم، هو مفاد نصوص حديث الغدير، ففي مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٤٥ تحت رقم ١٨٥٠٨، بإسناده عن البراء بن عازب قال:

(كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكُسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين، فصلى الظهر، وأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال:

ألستم تعلمون أني أولى المؤمنين بأنفسهم؟ قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى.

فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه.

فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة).

وفي مستدرك الصحيحين للحاكم النيشابوري ج ٣ ص ١١٨ تحت رقم (٤٥٧٦) بإسناده عن زيد بن أرقم:

(لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، فقال:

كأني قد دعيت فأُجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال:

إن الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه).

وحب علي وبنيه المعصومين عليهم السلام، وبغض من عاداهم المرتكزان على إيمان بإمامة الأئمة عليهم السلام كان موجوداً بين الصحابة.

ولذا قام جمع من علمائنا الأبرار بذكرهم، وأول من ذكرهم السيد علي المدني الحسيني الشيرازي المتوفى سنة ١١٢٠ هـ في كتابه: (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة الأمامية)، وذكر (٢٣) صحابياً من بني هاشم، و(٤٦) صحابياً من غيرهم.

وذكر بعضهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) ص ١٤٥، الطبعة المُحققة، وذكر فيه: (أن هناك بحدود (٣٠٠) صحابياً من أعيان الصحابة وأنهم من الشيعة).

وذكر السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه: (الفصول المهمة في تأليف الأمة) ص ١٨٨ ـ ١٩٧، الطبعة المُحقّة: أسماء أكثر من مائتي صحابي من الشيعة، مُرتباً أسمائهم على حروف الهجاء.

وذكر الشيخ احمد الوائلي أسماء (١٣٠) صحابياً من الشيعة في كتابه: (هوية التشيع) ص ٣٣ ـ ٣٥، وذكر أن تراجمهم في كتب أهل السنة.

من أعيانهم: سلمان الفارسي، أبو ذر، عمار، المقداد، عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر، حذيفة اليماني، خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري، سعد بن عبادة، قيس بن سعد، حبيب بن مظاهر، بلال بن رباح الحبشي، أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، جابر بن عبد الله الأنصاري، عمرو بن الحمق الخز اعي، حجر بن عدي الكندي، زيد بن صوحان العبدي، هند بن أبي هالة التميمي، خالد بن سعيد بن العاص، نجيب بني أمية، أبو سعيد الخدري، أُبي بن كعب، البراء بن عازب الانصاري، خباب بن الأرت، مالك بن التيهان الأنصاري.

وأثنا عشر من الصحابة الشيعة أنكروا على أبي بكر لما اعتلى

المنبر بعد غصب الخلافة، وهم: خالد بن سعيد بن العاص، سلمان، أبو ذر، المقداد، عمار، بريد الأسلمي، وهم من المهاجرين.

أبو الهيثم بن التيهان، سهل وعثمان إبنا حُنيف، خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين، وأُبي بن كعب، أبو أيوب الأنصاري، وهم من الأنصار، كما في الإحتجاج للطبرسي ج١ ص ١٨٦، الطبعة المحققة.

فدعوى أن الشيعة يكفّرون كل الصحابة ويبغضونهم ليس في محلها، بل يعادون من عادى علياً عليه السلام منهم.

أهل السنة ليسوا شيعة لعلي عليه السلام

والأغرب دعوى ابن حجر المتقدمة: بأن أهل السنة هم شيعة علي عليه السلام، ويردها أمور:

الأول: عدم اعتماد أهل السنة على أقوال الأئمة عليهم السلام في كتبهم العقائدية والحديثية والتفسيرية والفقهية، وإذا أوردوا قولاً لأحدهم فيوردوه بعنوان أنه قول لعالم من علماء المسلمين يمكن مناقشته ورده، ويمكن الأخذ به، ولا يوردوه على أنه قول لإمام يجب متابعته.

الثاني: ردّ أقوال الأئمة عليهم السلام ومخالفتهم في أكثر من مجال وأكثر من مورد.

رؤية الله في الآخرة

ففي العقائد جوّز الأشاعرة ـ وهم أهل السنة التابعون لأبي الحسن الأشعري في العقائد ـ رؤية الله في الآخرة قال الأشعري في كتابه (الإبانة) ص ٢١: (ونُدين بأن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وهذا ردّ لقول أمير المؤمنين عليه السلام في عدم جواز الرؤية، ونهج البلاغة متضمن لأقوالٍ كثيرة في ذلك، منها: قوله عليه السلام في خطبة الأشباح خطبة (٨٧): (الأول الذي لم يكن له قبلٌ فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعدٌ فيكو شيء بعده، والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه).

والأناس: جمع إنسان، وإنسان البصر ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها.

ومنها: قوله عليه السلام في خطبة رقم (١٧٤)، عندما سأله ذعلب اليماني: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: (أفأعبد مالا أرى، فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تُدركه القلوب بحقائق الإيمان).

ومنها: قوله عليه السلام في خطبة (١٨٠) (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر).

عينية الصفات

وفي العقائد ذهب الاشاعرة إلى زيادة الصفات على الذات، قال الشيخ المفيد في أوائل المقالات ص ٥٦ ـ ٥٧:

(وأحدث رجلٌ من أهل البصرة يُعرف بالأشعري قولاً خالف فيه ألفاظ جميع الموحدين ومعانيهم فيما وصفناه، وزعم أن لله عز وجل صفات قديمة وأنه لم يزل بمعانٍ، لا هي هو ولا غيره، من أجلها كان مستحقاً للوصف بأنه عالم، حيّ، قادر، سميع، بصير، متكلم، مريد).

وزيادة الصفات القديمة على الذات توجب تعدد القديم، ولذا قال الفخر الرازي في تفسيره ج ١ ص ١٣٢ في مقام عرض أدلة نفي الصفات القديمة عن الذات:

(الحجة السادسة: أن الله تعالى كفّر النصارى في التثليث، فلا يخلو إما أن يكون لأنهم قالوا بإثبات ذوات ثلاثة، أو لأنهم قالوا بالذات مع الصفات، والأول لا يقوله النصارى، فيمتنع أن يقال: إن الله كفّرهم بسبب مقالة لا يقولون بها، فبقي الثاني، وذلك يوجب أن يكون القول بالصفات كفراً).

لذا قال العلامة الحلي في نهج الصدق ص ٦٤ عن الفخر الرازي قوله:

(قال فخر الدين الرازي: النصارى كفروا بأنهم أثبتوا ثلاثة قدماء، وأصحابنا أثبتوا تسعة).

وعدد التسعة ناشئ من كون عدد الصفات المتنازع في ثبوتها ثمانية، وهي مع الذات تسعةٌ.

وعلى كلٍ فهذا ردٌ لقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة الخطبة الأولى:

(وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه ـ بوصف زائد على ذاته ـ فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله).

إلى غير ذلك من الموارد وقد أسهب في ذكرها العلامة الحلي في كتابه: (نهج الحق وكشف الصدق) فليراجع.

وبمراجعته أيضاً تعرف الموارد الكثيرة الفقهية التي ردوا بها قول علي وبنيه المعصومين عليهم السلام في الفقه.

الثالث: من الامور الواردة على كلام ابن حجر بأن أهل السنة هم الشيعة تحامي أهل السنة عن رواية فضائل علي وبنيه المعصومين عليهم السلام، ونكتفي بنقل نص ابن قتيبة في كتابه: (الاختلاف في اللفظ) على ما نقله السيد محسن الأمين في كتابه:(الشيعة بين الحقائق والأوهام) ص ٣٨، بعد ما ذمّ حالة العلماء وفي عصره، قال:

(وقد رأيت هؤلاء قابلوا الغلوفي حبّ علي بالغلوفي تأخيره وبخسه حقه، ولحنوا في القول، وإن لم يصرحوا إلى ظلمه، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان،

وأخرجوه بجهلهم من الأئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن، ولم يوجبوا له اسم الخلافة لاختلاف الناس عليه، وأوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه.

واتهموا من ذكره بخير، وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله، أو يظهروا ما يجب له، وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح.

وجعلوا ابنه الحسين خارجاً شاقاً لعصا المسلمين حلال الدم، وأهملوا من ذكره أو روى حديثاً من فضائله، حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها وعَنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية، وكأنهم لا يريدونهما بذلك، وإنما يريدونه.

فإن قال قائل: أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم علي، وأبو سبطيه الحسن والحسين، وأصحاب الكساء: علي وفاطمة والحسن والحسين تمضّرت الوجوه وتنكرت العيون وطرت حسائك الصدور.

وإن ذكر ذاكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، وأشباه ذلك التمسوا لتلك الأحاديث الصحاح المخارج لينقصوه ويبخسوه حقه، وهذا هو الجهل بعينه).

وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ص ١٩٦ ـ ١٩٧:

(وأخرج السلفي في الطيوريات، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي عن علي ومعاوية، فقال: اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه، فجاؤوا إلى رجلٍ، قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له) انتهى

وما زال الإطراء لمعاوية ومنع لعنه قائماً إلى اليوم ومنه تعرف حال أهل السنة أنهم شيعة لعلي عليه السلام أولاً.

الرابع: من الامور الواردة على أن أهل السنة هم الشيعة جَعَلُ سبّ عليّ عليه السلام ولعنه غير قادح في العدالة، مع حكمهم بأن سبّ غيره من الصحابةخصوصاً الخلفاء الثلاثة ـ موجب للكفر، وجعلوا حب علي ورواية فضائله مسبّة ومنقصة في الراوي، راجع كتبهم من تهذيب التهذيب ولسان الميزان لترى العجب العجاب.

وراجع كتاب (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) للسيد محمد بن عقيل فقد تتبع بعض نصوصهم في ذم بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام وذم شيعتهم ومدح أعدائهم.

بعد هذه الأمور وغيرها كيف يكون أهل السنة شيعة لعلي وبنيه عليهم السلام، بل جعلهم شيعة لمناوئيه واعدائه هو الموافق لحال عقائدهم وفقههم وسلوكهم ومفاهيمهم.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥، في ترجمة علي بن الجهم:

(وكان ـ مع انحرافه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإظهاره التسنن ـ مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الألفاظ).

وكلامه صريح في أن التسنن يجتمع مع بغض علي عليه السلام والانحراف عنه.

ما فعله النواصب من هدم قبره والمنع من زيارته عليه السلام

في هامش كامل الزيارات ص ٤٤٥، باب ٨٨، عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال:

(قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني ـ يازائدة ـ أنك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً.

فقلت: إن ذلك لكما بلغك.

فقال لي: فماذا تفعل ذلك، ولك مكان عند سلطانك، الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا.

فقلت: واللهِ ما أريد بذلك إلا الله ورسولَه، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكفر في صدري مكروه ينالني بسببه.

فقال: واللهِ إن ذلك لكذلك.

فقلت: واللهِ إن ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً.

فقال: أبشر، ثم أبشر، ثم أبشر، فلأخبرنك بخبرٍ كان عندي في النخب المخزون فإنه لما أصابنا بألطف ما أصابنا، وقُتل أبي عليه السلام،

وقُتل من كان معه من ولده واخوته وسائر أهله، وحُملت حرمُه ونساؤه على الأقتاب يُراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يُواروا، فعظم ذلك في صدري، واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك من عمتي زينب الكبرى بنت علي عليها السلام، فقالت: ما لي، أراك أتجود بنفسك ـ يا بقية جدي وأبي واخوتي ـ ؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع، وقد أرى سيدي واخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرجين بدمائهم، مرملين بالعري، مسلّبين، لا يُكفنون ولا يُوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيتٍ من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنك ما ترى، فو الله إن ذلك لعهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناسٍ من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطمسه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً).

وقال السيد محمد بن أبي طالب من أعلام القرن العاشر الهجري، في (تسلية المجالس) ج ٢ ص ٤٧٣:

(فأما قبر الحسين عليه السلام، فإنه لم يزل مشهوراً، معلماً يقصده الخلائق من الآفاق ـ إلى أن قال ـ:

ولقد جهدت بنو أمية على إخفائه، وصدّ الناس عنه، وأقاموا مسالح على الطرقات يقتلوا كل من ظفروا به من زوّاره عليه السلام، كما رواه

الشيخ جعفر بن قولويه والشيخ الطوسي _ إلى أن قال _:

ولم يتيسّر لبني أمية، وفي زمن بني العباس، إلا على زمن الرشيد لعنه الله، فإنه خرّبه، وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده، وكرب موضع القبر.

ثم أعيد على زمن المأمون وغيره إلى أن حكم اللعين المتوكل من بني العباس، وكان سيئ الاعتقاد في آل أبي طالب، شديد الوطأة عليهم، قبيح المعاملة معهم، ووافقه على ذلك وزيره عبد الله بن يحيى لعنه الله، فبلغ من سوء معاملتهم ما لم يبلغه أحدٌ ممن تقدم من بني أمية وبني العباس.

فأمر بتخريب قبر الحسين عليه السلام وقبور أصحابه، وكرب مواضعها، وأجرى الماء عليها، ومنع الزّوار عن زيارتها، وأقام الرصد، وشدّد في ذلك حتى كان قتل من يُوجد زائراً، وولّى ذلك رجلاً، وكان أصله يهودياً، ثم أسلم، يُقال له: الديزج، وسلّط اللعين قوماً من اليهود على ذلك حتى تولّوه.

وقام بالأمر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل أبي طالب، وأحسن إليهم، وفرّق فيهم الأموال، وأعاد القبور في أيامه).

أقول: من هذين النصين يُستفاد أمور:

الأول: إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجُهد أئمة الكفر وأشياع الضلالة بمحو قبر الإمام عليه السلام، ولا يفلحون في ذلك، بل يزداد أمره ظهوراً وعلواً.

الثاني: وجود مسجدٍ على القبر الشريف زمن بني أمية، وإن حاولوا إخفائه، ومنع الناس من زيارته، وإقامة المسالح عليه السلام مع مسلحة، وهي جماعة ممن يحمل السلاح للحراسة _ على الطرقات

ليقتلوا من يظفروا به من الزّوار.

الثالث: الرشيد خرّب القبر الشريف، وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده، وكرَب موضع القبر، والكرب هو: حرث الأرض.

الرابع: المتوكل خرّب القبر الشريف وقبور الأصحاب، وحرث مواضعها، وأجرى الماء عليها، ومنع الزّوار، وأقام الرصد لقتل الزائرين.

القبر والزيارة في زمن الأمويين

في كامل الزيارات ص ٢٢١، باب ٣٨، حديث ٢، بإسناده عن الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي، قال:

(خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام، مستخفياً من أهل الشام حتى انتهيت إلى كر بلاء، فاختفيت في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلت نحو القبر، فلما دنوت منه أقبل نحوي رجلٌ فقال لي: انصرف مأجوراً فإنك لا تصل إليه، فرجعت فزعاً، حتى إذا طلع الفجر أقبلت نحوه، حتى إذا دنوت منه خرج إليّ الرجل.

فقال لي: يا هذا إنك لا تصل إليه، فقلت له: عافاك الله، ولِمَ لا أصل إليه، وقد أقبلت من الكوفة، أريد زيارته فلا تحل بيني وبينه، وأنا أخاف إن أصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدروني ها هنا) الحديث.

وفي نفس المصدر ص ٢٤٢، باب ٤٥، حديث ١، بإسناده عن زرارة قال:

(قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟

قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقّاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن، هذا يومك الذي فيه فوزك).

وفي نفس المصدر ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥، حديث ٥، بإسناده عن محمد بن مسلم في حديث طويل قال:

(قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟

قلت نعم على خوفٍ ووجل.

فقال: ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف) الحديث، وهذه النصوص صريحة في وجود معلم للقبر الشريف في زمن الأمويين، لأن الخبرين الآخرين مرويان عن الإمام الباقر عليه السلام، والإمام الباقر عليه السلام توفي سنة ١١٤ على المشهور، في زمن هشام بن عبد الملك.

والخبران الأخيران صريحان في وجود الخوف الخوف والوجل في زيارة سيد الشهداء، والسبب هو وجود أهل الشام في نفس كر بلاء وفي المسالح كما هو مفاد الخبر الأول.

والخبر الأول يفيد أيضاً بأن أهل الشام يقتلون من يظفرون به من زواره عليه السلام، وأنه بقي الأمر هكذا إلى أواخر ملك بني أمية، وزوال ملكهم كان في سنة ١٣٢ للهجرة.

ويفيد الخبر بوجود قرية حول القبر، ناشئة من جماعة بنوا الدور والبيوت حول القبر الشريف، تشرفاً بساكنه عليه السلام.

والملاحظ أن الدولة الأموية المروانية لم تبدِ معارضة بوجود القبر وإن منعوا من الزيارة، ولعل السبب الاكتفاء بما اقترفوه نحو صاحب القبر عليه السلام من جرائم وآثار فظيعة، أو لما رأوه من الآثار لقتل الإمام المعصوم عليه السلام كزوال الملك الاموي السفياني ونحوه فأراد بنو

مروان عدم التعرض للقبر الشريف، كما يشير إليه خبر الخرايج والجرايح للراوندي، في باب معجزات الإمام علي بن الحسين عليه السلام ص ٢٣٢:

(أن الحجاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان: إن أردتَ أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين عليه السلام.

فكتب عبد الملك إليه: أما بعد، فجنبني دماء بني هاشم واحقنها، فإني رأيتُ آل أبي سفيان لمّا اولعوا فيها لم يلبثوا أن أزال الملك عنهم، وبعث بالكتاب سرّاً إلى الحجاج).

القبر والزيارة في زمن العباسيين

في أمالي الطوسي ص ٣٢٥، حديث ٩٨، من المجلس الحادي عشر، بإسناده عن يحيى بن المغيرة الرازي قال:

(كنت عند جرير بن عبد الحميد، إذ جاءه رجلٌ من العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام، وأمر أن تقطع السدرة التي فيه، فقطعت.

فرفع جرير يديه، فقال: الله أكبر، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: لَعَنَ الله قاطع السدرة، ثلاثاً، فلم نقف على معناه حتى الآن، لأن القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين عليه السلام، حتى لا يقف الناس على قبره).

أقول: تعرض القبر الشريف للهدم في زمن العباسيين مرتين،مرة في زمن الرشيد، وأخرى في زمن المتوكل.

الهدم في زمن الرشيد

الخبر المتقدم صريح في كرب القبر، أي حرث أرضه المستلزم لهدمه، مع قطع السدرة النابتة فيه في زمن الرشيد، وهذا تم قبل سنة (١٨٨)، لأن جرير بن عبد الحميد توفي في هذه السنة، كما في تهذيب التهذيب للعسقلاني ج ١ ص ٢٩٧، حيث قال:

(وقال حنبل بن إسحاق: وُلد جرير بن عبد الحميد في سنة (١٠٧)، وقال حنبل أيضاً، عن أحمد: حدثنا محمد بن حميد، عن جرير: ولدت سنة (١١٠)، قال: ومات جرير سنة (١٨٨)، وكذا قال قُطّين في تاريخ وفاته، وزاد: في شهر ربيع الآخر).

وفي ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٣٩٦:

(وقال يوسف بن موسى: مات جرير سنة ثمان وثمانين ومائة، قال بعضهم: كان من أبناء الثمانين).

وفي المصدر الأخير: أنه (عالم أهل الريّ، صدوق يُحتج به في الكتب _إلى أن قال عن بعضهم _: جرير مجمع على ثقته).

وفي تهذيب التهذيب _ المصدر السابق _: (وقال محمد بن سعد: كان ثقة يُرحل إليه، وقال ابن عمار الموصلي: حجة، وكانت كتبه صحاحاً).

وهذا لا يعني أن الرشيد هدم القبر الشريف في أوائل خلافته، حيث تولى الخلافة سنة (١٧٠)، بدليل ما رواه الطبري في تاريخه ج ٨، ص ٣٥٥_ ٣٥٦:

(وذكر علي بن محمد بن عبد الله، قال: أخبرني القاسم بن يحيى، قال: بَعَثَ الرشيد إلى ابن أبي داوود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحَيْر، قال: فأتي بهم، فنظر إليه الحسن بن راشد، وقال: مالك؟.

قال: بَعثَ إلي هذا الرجل _ يعني الرشيد _ فأحضرني، ولستُ آمنه على نفسي

قال له: فإذا دخلتَ عليه فسألك، فقل له: الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع.

فلما دخل عليه، قال هذا القول، قال: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن، أحضروه.

قال: فلما حضر، قال: ما حملك على أن صيّرت هذا الرجل في الحيْر؟

قال: رحم الله من صيّره في الحير، أمرتني أم موسى أن أصيّره فيه، وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً.

فقال: ردُّوه إلى الحير، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى.

وأم موسى هي أم المهدي ابنة يزيد بن منصور).

ولعلّ هناك سقطاً في نسبها، حيث قال ابن الأثير في تاريخه ج ٦ ص ٣2٢٢ في صفة المنصور وأولاده:

(كان أسمر نحيفاً خفيف العارضين.. وأما أولاده فالمهدي محمد وجعفر الأكبر، وأمهما أروى بنت منصور، أخت يزيد بن منصور الحميري، وكانت تُكنّى بأم موسى).

والحسن بن راشد قال عنه البرقي في أصحاب الإمام الصادقعليه السلام، ص ٢٦:

(حسن بن راشد، مولى بني العباس، وكان وزير المهدي وموسى وهارون، بغدادي).

وقال عنه في أصحاب الإمام الكاظمعليه السلام ص ٤٨:

(حسن بن راشد مولى بني العباس، كوفي).

وقال ابن الغضائري _ على ما في مجمع الرجال للقهبائي ـ ج ٢ ص ١٠٦:

(الحسن بن راشد، مولى المنصور، أبو محمد، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسىعليه السلام، ضعيف في روايته).

وهو غير الحسن بن راشد، أبو علي، مولى لآل المهلب، وغير الحسن بن راشد الطفاوي، راجع معجم رجال الحديث للخوئي ج ٥ ص ١٦٣٣١١.

وأورد خبر كرب القبر ابن شهر أشوب في مناقبه ج ٤ ص ٦٣ ـ ٦٤: قال:

(قال ابن عباس: قيل: لجرير بن عبد الحميد: إن موسى بن عبد الملك كرب قبر الحسين، وأمر بقطع السدرة.

فقال: الله أكبر، جاء فيه حديث عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم، وأنه قال: لعن

الله قاطع السدرة، ثلاثاً، وإنما أراد بذلك تغيير مصرع الحسين، حتى لا يقف الناس على تربته، والخبر مذكور في حلية الأولياء).

أقول: لعل المراد بـ (ابن عباس) هو (ابن عيّاش) ووقع التصحيف من النساخ، بدليل ما رواه الطوسي في أماليه ص ٣٢١ ـ ٣٢٥، حديث ٩٧، من المجلس الحادي عشر بإسناده عن يحيى بن عبد الحميد الحمّاني قال:

(خرجت أيام ولاية موسى بن عيسى الهاشمي في الكوفة من منزلي، فلقيني أبو بكرٍ بن عيّاش، فقال لي: تمضِ بنا يا يحيى إلى هذا، فلم أدرِ من يعني، وكنتُ أجلّ أبا بكرٍ عن مراجعة، وكان راكباً حماراً له.

فجعل يسير عليه وأنا أمشي مع ركابه، فلما صُرنا عند الدار المعروفة بدار عبد الله بن حازم التفت إلي، فقال لي: يا بن الحمّاني، إنما جررتك معي وجشّمتك معي أن تمشي خلفي، لأُسمعك ما أقول لهذا الطاغية.

فقلت: من هو، يا أبا بكر؟

قال: هذا الفاجر الكافر موسى بن عيسى، فسكتُ عنه ومضى وأنا اتبعه، حتى إذا صرنا إلى باب موسى بن عيسى، وبَصَرَ به الحاجب وتبيّنه، وكان الناس ينزلون عند الرحبة، فلم ينزل أبو بكرٍ هناك، وكان عليه يومئذ قميصٌ وإزار، وهو محلول الإزار.

فدخل على حمار، وناداني: تعالَ يا بن الحماني، فمنعني الحاجب، فزجره أبو بكر، وقال له: أتمنعه، يا فاعل، وهو معي؟ فتركني، فما زال يسير على حماره حتى دخل الإيوان، فبصُر بنا موسى، وهو قاعد في صدر الإيوان على سريره، وبجنبي السرير رجالٌ

متسلحون، وكذلك كانوا يصنعون.

فلما أن رآه موسى، رحّب به وقرّبه، وأقعده على السرير ومُنعت أنا حين وصلت إلى الإيوان أن أتجاوزه، فلما استقر أبو بكرٍ على السرير التفت فرآني حيث أنا واقف، فناداني: تعالَ ويحك، فصرت إليه نعلي في رجلي، وعليّ قميص وإزار، فأجلسني بين يديه.

فالتفت إليه موسى، فقال: هذا رجلُ تكلّمنا فيه؟

قال: لا، ولكنّي جئت به شاهداً عليك، قال: في ماذا؟

قال: إني رأيتك وما صنعت بهذا القبر، قال: أي قبر؟

قال: قبر الحسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان موسى قد وجّه إليه من كربه وكرب جميع أرض الحائر، وحرثها وزرع الزرع فيها.

فانتفخ موسى، حتى كاد أن ينقدّ، ثم قال: وما أنت وذا؟

قال: اسمع حتى أُخبرك، اعلم أني رأيت في منامي، كأني خرجت إلى قومي بني غاضرة، فلما صُرت بقنطرة الكوفة اعترضني خنازير عشرة تريدني، فأعانني الله برجلٍ كنتُ أعرفه، من بني أسد، فدفعها عنيّ، فمضيتُ لوجهي، فلما صُرت إلى شاهي ضللتُ الطريق، فرأيت هناك عجوزاً، فقالت لي: أين تريد، أيها الشيخ؟ قلت: أريد الغاضرية، قالت لي: تبطّن _ أي توسط _ هذا الوادي، فإنك إذا أتيت آخره أتضح لك الطريق.

فمضيت، ففعلت ذلك، فلما صُرت إلى نينوى، إذا أنا بشيخ كبيرٍ جالس هناك، فقلت: من أين أنت أيها الشيخ؟

فقال لي: أنا من أهل هذه القرية، فقلت: كم تعد من السنين؟ فقال: ما أحفظ ما مضى من سنيّ وعمري، ولكن أبعُد ذكري أني رأيتُ الحسين بن علي عليه السلام، ومَن كان معه من أهله ومن تبعه، يُمنعون الماء الذي تراه، ولا يُمنع الكلاب ولا الوحوش شربه.

فاستفظعت ذلك، وقلت له: ويحك، أنت رأيت هذا؟

قال: إي، والذي سمك السماء، لقد رأيتُ هذا _أيها الشيخ _ وعاينته، وإنك وأصحابك هم الذين يعينون على ما قد رأينا، مما أقرح عيون المسلمين إن كان في الدنيا مسلم.

فقلت: ويحك وما هو؟ قال: حيث لم تنكروا ما أجرى سلطانكم إليه.

قلت: ما أجرى إليه؟

قال: أيكرب قبر ابن النبي صلى الله عليه وآله، وتُحرث أرضه؟

قلت: وأين القبر؟

قال: ها هو ذا أنت واقف في أرضه، فأما القبر فقد عُمي عن أن يُعرف موضعه.

قال أبو بكر بن عياش: وما كنت رأيتُ القبر قبل ذلك قط، ولا أتيتُه في طول عمري، فقلت: من لي بمعرفته؟ فمضى معي الشيخ حتى وقف بي على حَير، له باب وآذن، وإذ جماعة كثيرة على الباب، فقلت للآذن: أريد الدخول على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: لا تقدر على الوصول في هذا الوقت.

قلت: ولِمَ؟

قال: هذا وقت زيارة إبراهيم خليل الله، ومحمد رسول الله، ومعهما جبرئيل وميكائيل في رعيلٍ من الملائكة كثير.

قال أبو بكر بن عيّاش: فانتبهت، وقد دخلني روعٌ شديد وحزن وكآبة، ومضت بي الأيام، حتى كدت أن أنسى المنام، ثم اضطررت إلى الخروج إلى بني غاضرة لدينٍ كان لي على رجلٍ منهم، فخرجت وأنا لا أذكر الحديث، حتى إذا صرت بقنطرة الكوفة لقيني عشرة من اللصوص، فحين رأيتهم ذكرت الحديث ورعبت من خشيتي لهم، فقالوا لي: الق ما معك وانجُ بنفسك، وكانت معي نُفيقة، فقلت: ويحكم أنا أبو بكر بن عيّاش، وإنما خرجت في طلب دينٍ لي، واللهِ الله لا تقطعوني عن طلب ديني، وتضروا بي في نفقتي، فإني شديد الإضاقة.

فنادى رجلٌ منهم: مولاي وربّ الكعبة، لا يُعرض له، ثم قال لبعض فتيانهم: كُن معه، حتى تصير به إلى الطريق الأيمن.

قال أبو بكر: فجعلت أتذكر ما رأيته في المنام، وأتعجب من تأويل الخنازير، حتى صرت إلى نينوى، فرأيتُ واللهِ الذي لا إله إلا هو الشيخ الذي كنت رأيتُه في منامي بصورته وهيئته، رأيتُه في اليقظة كما رأيتُه في المنام سواء.

فحين رأيتُه ذكرت الأمر والرؤيا، فقلت: لا إله إلا الله، ما كان هذا إلا وحياً، ثم سألته كمسألتي إيّاه في المنام، فأجابني ثم قال لي: امضِ بنا، فمضيت فوقفت معه على الموضع، وهو مكروب فلم يفتني شيء في منامي إلا الآذن والحير، فإني لم أرَ حَيراً ولا آذناً.

فاتقِ الله أيها الرجل، فإني قد آليت على نفسي ألا أدع إذاعة هذا الحديث، ولا زيارة ذلك الموضع وقصده وإعظامه، فإن موضعاً

يأتيه إبراهيم ومحمد وجبرئيل وميكائيل عليهم السلام لحقيق بأن يُرغب في إتيانه وزيارته، فإن أبا حصين حدثني: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في المنام فإيّاي رأى، فإن الشيطان لا يتشبّه بي.

فقال له موسى: إنما أمسكتُ عن إجابة كلامك لأستوفي هذه الحمقة التي ظهرت منك، وبالله لئن بلغني بعد هذا الوقت أنك تتحدّث بهذا لأضربنّ عنقك، وعنق هذا الذي جئت به شاهداً عليّ.

فقال أبو بكر: إذن يمنعني الله وإياه منك، فإني إنما أردت الله بما كلمتك به.

فقال له: أتراجعني يا عاصٍ وشتمه.

فقال له: اسكت، أخزاك الله وقطع لسانك، فارعد موسى على سريره، ثم قال: خُذوه، فأخذ الشيخ من السرير وأُخذت أنا، فوالله لقد مرّ بنا من السحب والجّر والضرب ما ظننت أننا لا نُكثر الأحياء أبداً _ كناية عن الموت _ وكان أشدّ ما مرّ بي من ذلك أن رأسي كان يُجرّ على الصخر، وكان بعض مواليه يأتيني فينتف لحيتي، وموسى يقول: اقتلوهما بني كذا وكذا، بالزاني ولا يُكنّي _ أي يقول في الشتم الفاظاً صريحة في الزنا ولا يكتفي بالكناية ـ .

وأبو بكر يقول له: امسك، قطع الله لسانك وانتقم منك، اللهم إيّاك أردنا، ولولد وليّك غضبنا، وعليك توكلنا.

فصيّر بنا جميعاً إلى الحبس، فما لبثنا في الحبس إلا قليلاً، فالتفت إليّ أبو بكر ورأى ثيابي قد خرّقت وسالت دمائي، فقال: يا حمّاني، قد قضينا لله حقاً، واكتسبنا في يومنا هذا أجراً، ولن يضيع ذلك عند الله، ولا عند رسوله، فما لبثنا إلا مقدار غدائه ونومه حتى جاءنا رسوله فأخرجنا إليه، وطلب حمار أبي بكر فلم يُوجد، فدخلنا

عليه، فإذا هو في سرداب له، يشبه الدور سعة وكبراً، فتعبنا في المشي إليه تعباً شديداً، وكان أبو بكر إذا تعب في مشيه جلس يسيراً، ثم يقول: اللهم إن هذا فيك فلا تنسه.

فلما دخلنا على موسى، وإذا هو على سرير له، فحين بصر بنا قال:

لا حيّا الله ولا قرّب من جاهل أحمق يتعرض لما يكره، ويلك يا داعيّ، ما دخولك فيما بيننا معشر بني هاشم.

فقال له أو بكر: قد سمعت كلامك، والله حسبك، فقال له: اخرج قبّحك الله، والله لئن بلغني أن هذا الحديث شاع، أو ذُكر عنك لأضربنّ عنقك.

ثم التفت إليّ وقال: يا كلب، وشتمني، وقال: إيّاك ثم إيّاك أن تُظهر هذا، فإنه إنما خُيّل لهذا الشيخ الأحمق شيطان يلعب به في منامه، اخرجا، عليكما لعنة الله وغضبه.

فخرجنا وقد يئسنا من الحياة، فلما وصلنا إلى منزل الشيخ أبي بكر، وهو يمشي وقد ذهب حماره، فلما أراد أن يدخل منزله التفت إليّ وقال: احفظ هذا الحديث وأثبته عندك، ولا تُحدّثنّ هؤلاء الرعاع، ولكن حدّث به أهل العقول والدين).

ومن هذا الخبر تعرف أن هدم القبر الشريف على يد موسى بن عيسى، وهو موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كما في تاريخ ابن الأثير ج ٦ ص ١٦٥، توفي سنة (١٨٣)، وكان له دور في مقتل الحسين بن علي بن الحسن صاحب فخّ سنة (١٦٩) في المدينة، في زمن المهدي، ثم أُسند له ولاية الكوفة، وكان يُعزل عنها، وأسند له إمارة الحج أكثر من مرة.

وأما كيفية موته فيحدثنا عنها الشيخ الطوسي في أماليه ص ٣٢٠ ـ ٣٢١، حديث ٩٦، من المجلس الحادي عشر، بإسناده عن أبي عبد الله محمد بن موسى السريعي الكاتب، عن أبي موسى بن عبد العزيز، قال:

(لقيني يوحنّا بن سرقيون النصراني المتطبب في شارع أبي أحمد، فاستوقفني، وقال لي: بحق نبيك ودينك، من هذا الذي يزور قبره قومٌ منكم بناحية قصر ابن هبيرة؟ من هو من أصحاب نبيكم؟.

قلت: ليس هو من أصحابه، هو ابن بنته، فما دعاك إلى المسألة عنه؟

فقال: له عندي حديث طريف، فقلت: حدثني به.

فقال: وجّه إليّ سابور الكبير الخادم الرشيدي في الليل، فصرت إليه، فقال لي: تعالَ معي، فمض وأنا معه حتى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي، فوجدناه زائل العقل متكئاً على وسادة، وإذا بين يديه طست، فيها حشو جوفه، وكان الرشيد استحضره من الكوفة، فأقبل سابور على خادم، كان من خاصّة موسى، فقال له: ويحك ما خبره؟

فقال له: أخبرك أنه كان من ساعةٍ جالساً وحوله ندماؤه، وهو من أصحّ الناس جسماً وأطيبهم نفساً، إذ جرى ذكر الحسين بن علي عليه السلام.

قال يوحنا: هذا الذي سألتك عنه.

فقال موسى: إن الرافضة لتغلو فيه، حتى إنهم فيما عرفت يجعلون تربته دواءً يتداوون به.

فقال له رجل من بني هاشم كان حاضراً: قد كانت بي علة

غليظة، فتعالجت لها بكل علاج، فما نفعني، حتى وصف لي كاتبي أن آخذ من هذه التربة، فأخذتها فنفعني الله بها وزال عنّي ما كنت أجده.

قال: فبقي عندك منها شئ؟ قال: نعم.

فوجّه، فجاءوه منها بقطعة، فناولها موسى بن عيسى.

فأخذها موسى فاستدخلها دبره استهزاءً بمن تداوى بها، واحتقاراً وتصغيراً لهذا الرجل، الذي هذه تربته _ يعني الحسين عليه السلام ، فما هو إلا أن استدخلها دبره حتى صاح: النار النار، الطست الطست.

فجئناه بالطست، فأخرج فيها ما ترى، فانصرف الندماء وصار المجلس مأتماً.

فأقبل عليّ سابور، فقال: انظر هل لك فيه حيلة؟

فدعوت بشمعة، فنظرت فإذا كبده وطحاله ورئته وفؤاده خرج منه في الطست، فنظرت إلى أمرٍ عظيم.

فقلت: مالأحدٍ في هذا صنعٌ، إلا أن يكون لعيسى الذي كان يُحيي الموتى.

فقال لي سابور: صدقت، ولكن كن هنا في الدار، إلى أن يتبيّن ما يكون من أمره، فبتّ عندهم وهو بتلك الحال، ما رفع رأسه فمات وقت السحر.

قال محمد بن يونس: قال لي: موسى بن سريع: كان يوحنا يزور قبر الحسين عليه السلام، وهو على دينه، ثم أسلم بعد هذا وحسن إسلامه).

ومن هذا كله تعرف أن ما في خبر المناقب المتقدم (أن الذي حرث القبر هو موسى بن عبد الملك) ليس في محله، بل لعله تصحيف من النُسّاخ.

ما ورد في قاطع السدرة

ذكر ابن شهر أشوب في كلامه المتقدم أن خبر لعن قاطع السدرة موجود في حلية الأولياء.

وهو كذلك، ففي حلية الأولياء ج ٣ ص ١٧٩، في ترجمة محمد بن الحنفية تحت رقم (٢٣٤)، باسناده عن الحسن بن محمد، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اخرج، فأذّن في الناس من الله _ لا من رسوله _ لعن الله قاطع السدر).

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢، حديث (١١٧٦٥) في الباب (٩) من كتاب المزارعة، ولكن فيه: (لعن الله قاطع السدرة)، مثله حديث (١١٧٦٦).

وفي نفس المصدر حديث ١١٧٦٧، بإسناده عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر قال: (قال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ في مرضه الذي مات فيه: اخرج يا علي، فقل عن الله، لا عن رسوله: لعن الله من يقطع السّدر).

وفي نفس المصدر حديث (١١٧٦٨)، بإسناده عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: قاطع السّدر يصوب الله رأسه في النار).

وفي نفس المصدر حديث (١١٧٦٩)، بإسناده عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من الله، لا من رسوله، لعن الله عاضد السّدر).

وفي نفس المصدر حديث (١١٧٦٢)، بإسناده عن عروة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الذين يقطعون السّدر يصبّهم الله على رؤوسهم في النار صبّاً).

نعم أوردوا أخباراً متضمنة للعن قاطع السدر أو السدرة مع ضميمة وهي (إلا من رزع).

كما في سنن البيهقي _ المصدر السابق _ حديث (١١٧٦٤):

(من قطع السدر إلا من زرع صبّ عليه العذاب صباً، وبعدما أورد البيهقي حديث (لعن الله قاطع السدرة) وأورد مثله عن عمر بن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (وقال: إلا من زرع)، وباعتبار أن قطع السدر غير محرم بالاتفاق، لا ستعماله في غسل الميت، لذا قال البيهقي في نفس المصدر السابق:

(واحتج المزني بما احتج به الشافعي رحمهما الله، من إجازة النبي صلى الله عليه وسلم أن يُغسل الميت بالسدر، ولو كان حراماً لم يجز الانتفاع به، قال: والورق من السدر كالغصن، وقد سوّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حرّم قطعه من شجر الحرم بين ورقه وبين غيره، فلما لم أرَ أحداً يمنع من ورق السدر دل على جواز قطع السدر).

بل بعض رواة الأخبار المتقدمة كان يقطع السدر كعروة، كما

في المصدر السابق تحت رقم (١١٧٧٠)، بإسناده عن حسان بن إبراهيم، قال:

(سألت هشام بن عروة عن قطع السدر، وهو مُسند إلى قصر عروة، فقال: أترى هذه الأبواب والمصاريع إنما هي من سدرة عروة، كان عروة يقطعه من أرضه، وقال: لا بأس به).

لذا حمل النهي أبو داوود الذي أورد بعض هذه الأخبار في صحيحه، على ما نقله البيهقي في المصدر السابق ص ٢٣٣ بقوله:

(قال أبو داوود: يعني من قطع السدر في فلاة يستظل بها ابنُ السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها).

والمزني الذي يقول بجواز قطع السدر مطلقاً على ما تقدم كلامه حمل النهي في الأخبار المتقدمة على جوابٍ عن سؤال خاص في قضية شخصية، حيث قال البيهقي عنه في المصدر السابق ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤:

(وقرأت في كتاب أبي سليمان الخطابي رحمه الله: أن اسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله سُئل عن هذا، فقال: وجهه أن يكون صلى الله عليه وسلم سُئل عمن هجم على قطع سدرٍ لقومٍ أو ليتيمٍ أو لمن حرّم الله أن يُقطع عليه، فتحامل عليه بقطعه، فاستحقَّ ما قالهُ، فتكون المسألة سبقت السامع فسمع الجواب ولم يسمع المسألة)

وقال ابن الاثير في نهايته ج ٢ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤:

(ومنه: من قطع سِدرة صوّب الله رأسه في النار، قيل: أراد به سدر مكة، لأنها حرم، وقيل: سدر المدينة، نهى عن قطعه ليكون أنساً وظِلاً لمن يهاجر إليها، وقيل: أراد السدر الذي يكون في الفلاة

يستظلّ به ابناء السبيل والحيوان، أو في ملك إنسان فيتحامل عليه ظالم فيقطعه بغير حق.

ومع هذا فالحديث مضطرب الرواية، فإن أكثر ما يرُوى عن عروة بن الزبير، وكان هو يقطع السدر، ويتخذ منه أبواباً، قال هشام:

وهذه أبوابٌ من سدرٍ، قطعه أبي، وأهل العلم مجمعون على إباحة قطعه).

وكتب السيوطي في عرض أخبار قطع السدرة وتوجيهها رسالة، سماها (رفع الخدر عن قطع السدر) وردت في الحاوي للفتاوى له ج ٢ ص ١١٧ ـ ١٢٣.

ولم يأتِ بجديد، لأنه أورد الأخبار المتقدمة واورد ما تقدم من وجوه حملها، ثم قال: (قلت: والأولى عندي في تأويل الحديث أنه محمول على سدر الحرم، كما وقع في رواية الطبراني).

ورواية الطبراني كما اوردها في نفس المصدر ص ١١٨:

(وقال الطبراني في الأوسط: ثنا أبو مسلم، ثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن عثمان بن أبي سليمان، عن سعيد بن محمد، عن عبد الله بن حبشي، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: " من قطع سِدرةً صوّب الله عز وجل رأسه في النار " يعني من سِدر الحرم).

أقول: السدر: شجر النبق، واحدة سِدرة، والجمع سدرات بالسكون، حملاً على لفظ الواحدة، كما في مجمع البحرين ج ٣ ص ٣٢٧، وكل المحامل المتقدمة عن العامة ليس في محلها.

أما حمل السيوطي أن النهي في القطع عن سدر الحرم لرواية

الطبراني، ففيه: أن التفسير بسدر الحرم من الراوي، ولا أقل من الاحتمال وبه يبطل الاستدلال.

وأما حمل المزني أنه نهي عن قطع سدر قومٍ أو يتيم أو شخص تحامل ظالم عليه ففيه: أنه بحاجة إلى قيد، وهو مفقود في الأخبار، بل بعض الأخبار المتقدمة ينفيه، لما ورد من الأمر من رسول الله ﷺ وهو على فراش الموت لعلي عليه السلام: بأن ينادي بأن اللعن من الله لا من رسوله لمن يقطع السدرة، وهو ظاهر أنه نهي عن قطع سدرة مخصوصة وليس مطلق السدر، وكونه على فراش الموت والمنادي عليّ مشعرٌ بأن قطع السدرة له علاقة بما يهمّ رسول الله ﷺ في مستقبل الدعوة الإسلامية، لا بما يهمّه من أجوبة عن أسئلة خاصة، ولو كان جواباً عن سؤال خاص فلا داعي لأمر علي عليه السلام بأن ينادي باللعن لمن يقطع.

ومنه تعرف ضعف حمل اللعن على من يقطع سدرة في فلاة تستظل بها البهائم أو الانسان خوفاً من حرّ الشمس.

والنهي عن سدرة خاصة لا عن مطلق السدر تعرف ضعف الحمل على سدر مكة أو المدينة.

هذا فضلاً إلى أن إضافة قيد (إلا من زرع) غير موجود في غالب الأخبار المتقدمة، ولعل زيادتها كاختلاف متن الخبر من سدرة والسدر والسدرة ناشئة من تلاعبهم في الحديث كما هو ديدنهم في الموارد التي لها علاقة بعلي وبنيه المعصومين عليهم السلام.

وعليه فالصحيح ما فهمه جرير بن عبد الحميد أن الخبر لم يمكن فهمُه إلى زمن الرشيد، فعندما قطع السدرة عند القبر الشريف فُهم معنى الحديث النبوي، وجرير عالم أهل الريّ كما تقدم.

من قطع السِدرة

قد عرفت من خبر الطوسي في أماليه المتقدم في أول فقرة (القبر والزيارة في زمن العباسيين) أن الذي قطع السدرة هو الرشيد، ولكن في خبره الآخر وخبر المناقب المتقدمين أن الذي قطعها هو موسى بن عيسى عامله على الكوفة.

ولا تنافٍ بينهما، لأن موسى المذكور لا يستطيع أن يُقدم على هذا الأمر العظيم إلا بأمرٍ من الرشيد، ولذا نُسب القطع وحرث القبر إليه.

ولا يلتفت إلى ما يقال عن الرشيد من أنه كان يصلي كل يومٍ مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلا من مرض، وكان يتصدق من صلبٍ ما له كل يوم بألف درهم بعد زكاته، وكان إذا حجّ حجّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، فإذا لم يحج أحجّ ثلاثمائة رجلٍ بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة، كما في كامل ابن الأثير ج ٦ ص ٢١٧.

وعدم الالتفات لأن ما قيل في عدد صلاته تحتاج إلى تفرغ كامل للعبادة، وأين هو منها، ومن أين له المال الخالص من صلب ماله، وما كان تحت يده فهو للمسلمين بالاضافة إلى ما أورده ابن طباطبا في كتابه (الفخري) ص ١٤ في مقام اشتراط الخوف من الله في الخليفة فقال:

(ولم يكن الرشيد يخاف الله، وأفعاله بأعيان آل علي، وهم أولاد بنت نبيه لغير جرم تدل على عدم خوفه من الله تعالى).

الزيارة إلى زمن الرشيد

في كامل الزيارات لإبن قولويه ص ٢٠٣، حديث ٧، باب ٣٢، بإسناده عن مسمع بن عبد الملك، كردين البصري، قال:

(قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع، انت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام.

قلت: لا، أنا رجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل، من النّصاب وغيرهم، ولستُ آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان، فيمثلون بي) الحديث.

وسليمان هذا هو: سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو عم السفاح والمنصور ولدسنة (٨٢)، ولاّه السفّاح على البصرة وأعمالها وكوَر دجلة والبحرين وعُمان وغيرها سنة (١٣٣) على ما في تاريخ ابن الأثير ج٥ ص ٤٤٨، وحجّ بالناس سنة (١٣٥)، ومات السفاح سنة (١٣٦) وتولى المنصور وأبقاه على ما هو عليه، إلى أن عزله عن ولاية البصرة سنة (١٣٩) أو سنة (١٤٠) على ما في تاريخ ابن الاثير ج ٥ ص ٤٩٧، ومات سنة (١٤٢) على ما في تاريخ ابن الأثير ج ٥ ص (٥١٠) قائلاً: (وفيها مات سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو على البصرة في جمادى الآخرة، وعمره تسعٌ

وخمسون سنة، وصلّى عليه أخوه عبد الصمد).

ولعله أرجعه إلى ولاية البصرة قبل وفاته، وعلى كلٍ فقد تقدم وضع المسالح ومنع زيارة القبر الشريف إلى أواخر زمن الأمويين، ومن هذا النص تعرف أن الخوف من الزيارة ما زال قائماً إلى حين موت سليمان المذكور، بل الخبر المتقدم يفيد أن الخليفة وهو المنصور كان هواه في عدم الزيارة، وتوفي المنصور سنة (١٥٨) كما في تاريخ ابن الأثير ج ٦ ص ١٧، فيكون الخوف إلى زمن وفاة الأخير.

ولا يوجد بين أيدينا نصوص توضح ما فعله المنصور في منع الزيارة، وأتى بعد المنصور المهدي والهادي، ومن خبر الطبري المتقدم سابقاً عندما استقدم الرشيد ابن أبي داوود ومن معه من خدمة القبر الشريف، وتعرض الحسن بن راشد له، وقال له أن أم موسى هي التي وضعتهم في ذلك تعرف أن في زمن المهدي والهادي انفراجاً في الزيارة، وتنصيب رجالٍ لخدمة القبر الشريف وزواره، ولكن في زمن الرشيد قد عرفت أنه منع الزيارة وهدم القبر على يد واليه في الكوفة على ما تقدم.

هدم القبر الشريف في زمن المتوكل

في تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٨٥، عن حوادث سنة (٢٣٦)، قال:

(وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُحرث ويُبذر ويُسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه.

فذُكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبَق، فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحُرّث ذلك الموضع وزُرع ما حواليه).

ونقل ابن الجوزي في (المنتظم) ج ١١ ص ٢٣٧، نفس الكلام المتقدم باختصار يسير، وزاد في آخره: (وقيل: كان ذلك سنة ثمان وثلاثين).

ونقل ابن الأثير في كامله ج ٧ ص ٥٥ كلام الطبري باختصار، وزاد في آخره:

(وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم.

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنّث، وكان يشدّ على بطنه

تحت ثيابه مخدة، ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون:

قد أقبل الأصلع البطين   خليفة المسلمين

يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبّادة يهدده، فسكت خوفاً منه.

فقال المتوكل: ما حالك؟

فقام وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين، إن الذي يحكيه هذا الكاتب ويضحك منه الناس هو إبن عمّك وشيخ أهل بيتك، وبه فخُرك، فكُل أنت لحمه إذا شئت، ولا تُطعم هذا الكلب وأمثاله منه، فقال المتوكل للمغنين: غنّوا جميعاً

غار الفتى لابن عمّه   رأس الفتى في حرِّ أمّه

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكل).

وفي تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢، ج ١ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢، نقل كلام ابن الاثير ملّخصاً، وزاد في آخره:

(وكان يجالس من اشتهر ببغض علي، مثل ابن الجهم الشاعر، وأبي السمط من وُلد مروان بن أبي حفصة، من موالي بني أمية، وغيرهما، فغطّى ذمّه لعليّ على حسناته، وإلا فكان من أحسن الخلفاء سيرةً، ومنع الناس عن القول بخلق القرآن).

وفي تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢١٦ ـ ٢١٧، نقل كلام أبي الفداء المتقدم ملّخصاً.

وفي مقاتل الطالبين ص ٣٩٥:

(وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتماً بأمرهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسئ الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحدٌ من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له، لا يجدون أحداً زاره، إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة).

وفي البداية والنهاية لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ ج ١٠ ص ٢٦٤:

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين، فيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والدور، ونُودي في الناس: مَن وُجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به إلى المطبق، فلم يبق هناك بشرٌ، واتخذ ذلك الموضع مزرعة تُحرث وتستغل).

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٠٧:

(وفي سنة ست وثلاثين ـ أي بعد المائتين ـ أمر بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، وخُرِّب، وبقي صحراء.

وكان المتوكل معروفاً بالتعصب، فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، فمما قيل في ذلك:

بالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمري قبره مهدوما

أسِفوا على أن لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما)

وقريب منه ما اورده القرماني في كتابه (أخبار الدول) في حوادث سنة (٢٣٧) نقلاً عن تاريخ كر بلاء لعبد الجواد الكيدار ص ٢٠٧، وفي نفس المصدر المذكور نقل عن طبقات الشافعية للسبكي أن الهدم في سنة (٢٣٧).

ومثل ما قال السيوطي في تاريخ الحلفاء، قاله الكتبي في فوات الوفيات ج ١ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢، تحت رقم (١٠٣)، إلا أن الأبيات ردّدها بين البّسامي وبين يعقوب بن السكيت).

وقال الطقطقي في الفخري ص ٧٥:

(كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علي عليه السلام، وفعل من حرث قبر الحسين عليه السلام ما فعل، وأبى الله إلا أن يتم نوره.

وقال من يعتذر له: إنه كان كأخيه ـ وفي المصدر: أخيه ـ وكالمأمون في الميل إلى بني عليّ عليه السلام، وإنما كان حوله جماعة منحرفون عن أهل البيت عليهم السلام، فكانوا دائماً يحملونه على الوقيعة فيهم.

والأول أصحّ، ولا ريب أنه كان شديد الإنحراف عن الطائفة، ولذلك قتله ابنه غيرة وحمية).

وفي مروج الذهب للمسعودي ج ٥ ص ٥٠ ـ ٥١، عندما تكلم عن المنتصر قال:

(وكان المنتصر واسع الاحتمال، راسخ العقل، كثير المعروف، راغباً في الخير سخياً أديباً عفيفاً ـ إلى أن قال ـ :

وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة وخوفٍ على

دمائهم، قد مُنعوا زيارة قبر الحسين، والغريّ من أرض الكوفة، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد.

وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين، وفيها أمر المعروف بـ (الذيرج)، بالمسير إلى قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما، وهدمِه ومحو أرضه، وإزالة أثره، وأن يعاقب من وُجد به، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر، فكلٌ خشي العقوبة وأحجم، فتناول الذيرج مسحاةً، وهدم أعالي قبر الحسين، فحينئذ أقدم الفَعَلة على العمل فيه، إلى أن انتهوا إلى الحفرة وموضع اللحد، فلم يروا فيه أثر رمّة ولا غيرها.

ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر، فأمّن الناس وتقدم بالكفّ عن آل أبي طالب، وترك البحث عن أخبارهم، وأن لا يُمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضي الله عنه، ولا قبر غيره من آل أبي طالب، وأمر بردّ فدك إلى ولد الحسن والحسين، وأطلق أوقاف آل أبي طالب، وترك التعرض لشيعتهم، ودفع الأذى عنهم).

وفي مقاتل الطالبين ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦، عن أحمد بن الجعد الوشاء، وقد شاهد ذلك قال:

(كان السبب في كرب قبر الحسين أن بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها إليه قبل الخلافة، يغنين له إذا شرب.

فلما وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين، وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها.

فقال لها: أين كنتم؟

قالت: خرجت مولاتي إلى الحج، وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان.

فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟

قالت: إلى قبر الحسين، فاستطير غضباً، وأمر بمولاتها فحُبست، واستصفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه، يُقال له: الديزج، وكان يهودياً فأسلم، إلى قبر الحسين، وأمر بكرب قبره ومحوه، وإخراب كل ما حوله.

فمض لذلك وخرّب ما حوله، وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحدٌ.

فاحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح، بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا اخذوه ووجهوا به إليه.

فحدثني محمد بن الحسين الاشناني قال:

بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجلٌ من العطارين على ذلك.

فخرجنا زائرين، نكمن النهار ونسير الليل، حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل، فسرنا بين مسلحتين، وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نشمّه ونتحرى جهته حتى أتيناه، وقد قُلع الصندوق الذي كان حواليه وأُحرق، وأُجرى الماء عليه، فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق.

فزرناه وأكببنا عليه، فشممنا منه رائحة، ما شممت مثلها قط، كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي: أي رائحة هذه؟

فقال: لا واللهِ، ما شممت مثلها كشيء من العطر.

فودعناه، وجعلنا حول القبر علاماتٍ في عدة مواضع، فلما قُتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة، حتى صرنا إلى القبر، فأخرجنا تلك العلامات، وأعدناه إلى ما كان عليه).

وفي أمالي الطوسي ص ٣٢٦، حديث برقم (١٠٠) من المجلس الحادي عشر، بإسناده عن أبي علي الحسين بن محمد بن مسلمة، وينتهي نسبه إلى عمّار بن ياسر، قال:

(حدثني إبراهيم الديزج، قال: بعثني المتوكل إلى كر بلاء، لتغيير قبر الحسين عليه السلام، وكتب معي إلى جعفر بن محمد بن عمّار القاضي:

أعلمك أني قد بعثت إبراهيم الديزج إلى كر بلاء لنبش قبر الحسين، فإذا قرأت كتابي، فقف على الأمر، حتى تعرف فعل أو لم يفعل.

قال الديزج: فعرّفني جعفربن محمد بن عمّار ما كتُب به إليه، ففعلت ما أمرني به جعفر بن محمد بن عمّار، ثم أتيته.

فقال لي: ما صنعت؟

فقلت: قد فعلت ما أمرت به، فلم أرَ شيئاً ولم أجد شيئاً.

فقال لي: أفلاّ عمّقته؟

قلت: قد فعلت، وما رأيت.

فكتب إلى السلطان: إن إبراهيم الديزج قد نبش فلم يجد شيئاً، وأمرته فمخره بالماء وكربه بالبقر.

قال أبو علي العماري: فحدثني إبراهيم الديزج، وسألته عن صورة الأمر، فقال لي: أتيته في خاصة غلماني فقط، وإني نبشت، فوجدت بارية جديدة، وعليها بدن الحسين بن علي، ووجدت منه رائحة المسك، فتركت البارية على حالتها، وبدن الحسين على البارية، وأمرت بطرح التراب عليه، وأطلقت عليه الماء، وأمرت بالبقر لتمخره وتحرثه، فلم تطأه البقر، وكانت إذا جاءت إلى الموضع رجعت عنه، فحلّفت لغلماني بالله وبالإيمان المُغلّظة لئن ذكر أحدٌ هذا لأقتلنه) والمخرّ: إرسال الماء فيه.

وفي نفس المصدر ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ حديث برقم (١٠١)، بإسناده عن أبي عبد الله الباقطاني، قال:

(ضمّني عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى هارون المعرّي، وكان قائداً من قواد السلطان، أكتب إليه، وكان بدنُه كلّه أبيض شديد البياض، حتى يديه ورجليه كانا كذلك، وكان وجهه أسود، شديد السواد كأنه القير، وكان يتفقأ مع ذلك

مِدّةً منتنة ـ المِدّة: القيح ـ .

قال: فلما أنس بي، سألته عن سواد وجهه، فأبي أن يخبرني، ثم إنه مرض مرضه الذي مات فيه، فسألته، فرأيته كأنه يُحب أن يكتم عليه، فضمنت له الكتمان، فحدثني، قال:

وجّهني المتوكل أنا والديزج لنبش قبر الحسين عليه السلام، وإجراء الماء عليه، فلما عزمت على الخروج والمسير إلى الناحية، رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، فقال: لا تخرج مع الديزج، ولا تفعل ما أُمرتم به في قبر الحسين

فلما أصبحنا جاءوا يستحثوني في المسير، فسرت معهم حتى

وافينا كر بلاء، وفعلنا ما أمرنا به المتوكل.

فرأيتُ النبي صلى الله عليه وآله في المنام، فقال: ألم آمرك ألا تخرج معهم ولا تفعل فعلهم، فلم تقبل حتى فعلت ما فعلوا؟

ثم لطمني وتفل في وجهي، فصار وجهي مُسوداً كما ترى، وجسمي على حالته الأولى).

وفي نفس المصدر ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ حديث برقم (١٠٣)، بإسناده عن القاسم الأسدي الكوفي، وكان له علم بالسيرة وأيام الناس، قال: (بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قوّاده، وضمّ إليه كنفاً من الجند، ليشعب قبر الحسين عليه السلام، ويمنع الناس من زيارته، والاجتماع إلى قبره.

فخرج القائد إلى الطف، وعمل ما أمر، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فثار أهل السواد واجتمعوا عليه، وقالوا: لو قُتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منّا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا.

فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكفّ عنهم والمسير إلى الكوفة مُظهِّراً أن مسيره إليها في مصالح أهلها، والإنكفاء إلى المصر.

فمضى الأمر على ذلك حتى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كر بلاء، لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنه قد كثر جمعهم كذلك، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين، ونبش القبر وحرث أرضه، وانقطع الناس

عن الزيارة، وعمل على تتبع آل أبي طالب عليهم السلام، والشيعة رضي الله عنهم، فقُتل ولم يتمّ له ما قدّر)، والكنف هو الجانب كناية عن الجماعة منهم.

وفي نفس المصدر ص ٣٢٩، حديث برقم (١٠٤)، بإسناده عن عبد الله بن دانية الطوري قال:

(حججتُ سنة سبع وأربعين ومائتين، فلما صدرت من الحج صرت إلى العراق، فزرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، على حال خيفةٍ من السلطان، وزرته ثم توجهت إلى زيارة الحسين عليه السلام، فإذا هو قد حُرثت أرضه ومخر فيها الماء، وأُرسلت الثيران العوامل في الأرض، فبعيني وبصرى كنت أرى الثيران تُساق في الأرض، فتنساق لهم إذا حاذت مكان القبر حادث عنه يميناً وشمالاً، فتُضرب بالعصيّ الضرب الشديد، فلا ينفع ذلك فيها، ولا تطأ القبر بوجهٍ ولا سبب، فما أمكنني الزيارة، فتوجهت إلى بغداد، وأنا أقول في ذلك:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاك بنو أبيه بمثلها هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا في قتله فتتبّعوه رميما

فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة صلى الله عليه وآله وسلم لصوت المفزع , فقلت: ما الخبر؟ قالوا سقط بقتل جعفر المتوكل، فعجبت لذلك وقلت: إلهي ليلة بليلة).

وفي نفس المصدر ص ٣٢٧ _ ٣٢٨، حديث برقم (١٠٢)، بإسناده عن أبي برزة الفضل بن محمد بن عبد الحميد، قال:

(دخلت على إبراهيم الديزج، وكنت جاره، أعوده في مرضه

الذي مات فيه، فوجدته بحال سوء، وإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب، فسألته عن حاله، وكانت بيني وبينه خلطة وأُنس توجب الثقة بي والإنبساط إليّ، فكاتمن حاله، وأشار لي إلى الطبيب، فشعر الطبيب بإشارته، ولم يعرف من حاله ما يصف له من الدواء ما يستعمله، فقام وخرج وخلى الموضع، فسألته عن حاله، فقال: أخبرك واللهِ واستغفر الله، أن المتوكل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين عليه السلام، فأمرنا أن نكربه ونطمس أثر القبر، فوافيت الناحية مساءً، معنا الفَعَلةُ والروزكاريون، معهم المساحي والمُرور _ جمع مرّ، وهو المسحاة أو ما كان نحوها _ فتقدمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه.

فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر ونمت، فذهب بي النوم فإذا ضوضاء شديدة وأصوات عالية، وجعل الغلمان ينبّهوني، فقمت وأنا ذعرٌ، فقلت للغلمان: ما شأنكم؟

قالوا: أعجب شأن.

قلت: وما ذاك؟

قالوا: إن بموضع القبر قوماً، قد حالوا بيننا وبين القبر، وهم يرموننا مع ذلك بالنشاب، فقمت معهم لاتبين الأمر، فوجدته كما وصفوا، وكان ذلك في أول الليل من ليالي البيض، فقلت: ارموهم، فرموا فعادت سهامنا إلينا، فما سقط سهم منها إلا في صاحبه الذي رمى به فقتله، فاستوحشت لذلك وجزعت وأخذتني الحمّى والقشعريرة، ورحلت عن القبر لوقت، ووطنت نفسي على أن يقتلني المتوكل، لما لم أبلغ في القبر جميع ما تقدم إليّ به.

قال أبو برزة: فقلت له: قد كفيت ما تحذر من المتوكل، قد

قُتل بارحة الأولى، وأعان عليه في قتله المنتصر.

فقال لي: قد سمعت بذلك، وقد نالني في جسمي ما لا أرجو معه البقاء.

قال أبو برزة: كان هذا في أول النهار، فما أمس الديزج حتى مات.

قال ابن خشيش: قال أبو الفضل: إن المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام، فسأل رجلاً من الناس عن ذلك، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلا أنه من قتل أباه لم يطل له عمر.

قال: ما أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول لي عُمر، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر).

وفي نفس المصدر ص ٣٢٥ 263، بإسناده عن محمد بن جعفر بن محمد بن فرج الرخجي، قال: حدثني أبي، عن عمه عمر بن فرج، قال:

(أنقذني المتوكل في تخريب قبر الحسين عليه السلام، فصرت إلى الناحية، فأمرت بالبقر فمُرّ بها على القبور، فمرّت عليها كلها، فلما بلغت قبر الحسين عليه السلام لم تمرّ عليه.

قال عميّ عمر بن فرج: فأخذت العصا بيدي، فما زلت أضربها حتى تكسّرت العصا في يدي، فواللهِ ما جازت على قبره ولا تخطته.

قال لنا محمد بن جعفر: كان عمر بن فرج شديد الانحراف عن آل محمد صلى الله عليه وآله، فأنا أبرأ إلى الله منه، وكان جدّي أخوه محمد بن فرج شديد المودة لهم رحمة الله ورضي عنه، فأنا أتولاه لذلك وأفرح بولادته).

وفي شرح شافية أبي فراس لأبي جعفر محمد بن أمير الحسيني ص ٥٠٣ قال:

(في مثير الأحزان: أمر المتوكل العباسي بإرسال الماء على قبر الحسين عليه السلام، فحار الماء بقدرة الله تعالى على بُعدٍ من القبر باثنين وعشرين ذراعاً، وصار الماء كالحائط) وعلّق محققه في الهامش بقوله: (لا يوجد في النسخة المطبوعة، نظراً لنقصها).

وفي نفس المصدر ص ٥٠٥ قال:

(في الدر النظيم: قال هشام بن محمد: لما جرى الماء على قبر الحسين عليه السلام، نضب بعد أربعين يوماً، وانمحى أثر القبر، فجاء أعرابي من بني أسد، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمّه، حتى وقع على قبر الحسين عليه السلام، فبكى حين شمّه، وقال: بأبي أنت وأمي، ما كان أطيبك وأطيب قبرك وتربتك، ثم أنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن وليّه   فطيبُ تراب القبر دلّ على القبر)

وفي مناقب ابن شهر أشوب ج ٤ ص ٦٤:

(وروى جماعة من الثقات: أنه لما أمر المتوكل بحرث قبر الحسين، وأن يجري الماء عليه من العلقمي، أتى زيد المجنون وبهلول المجنون إلى كر بلاء، فنظرا إلى القبر وإذا هو مُعلّق بالقدرة في الهواء، فقال زيد: " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرين ".

وذلك أن الحرّاث حرث سبع عشرة مرة، والقبر يرجع على حاله، فلما نظر الحرّاث إلى ذلك آمن بالله وحل القبر، فأخبر المتوكل فأمر بقتله).

وفي بحار الانوار ج ٤٥ ص ٤٠١ ـ ٤٠٧، قال:

(وجدت في بعض مؤلفات أصحابنا قال: رُوي عن سليمان الأعمش _ إلى أن قال:

ورُوي أن المتوكل من خلفاء بني العباس كان كثير العداوة، شديد البغض لأهل بيت الرسول، وهو الذي أمر الحارثين بحرث قبر الحسين عليه السلام، وأن يخرّبوا بنيانه ويخفوا أثاره، وأن يجروا عليه الماء من النهر العلقمي، بحيث لا تبقى له _ كذا _ أثر، ولا أحد يقف له على خبر، وتوعّد الناس بالقتل لمن زار قبره، وجعل رصداً من أجناده وأوصاهم: كل من وجدتموه يريد زيارة الحسين عليه السلام فاقتلوه، يريد بذلك إطفاء نور الله وإخفاء آثار ذرية رسول الله.

فبلغ الخبر إلى رجلٍ من أهل الخير، يقال له: زيد المجنون، ولكنه ذو عقل شديد ورأي رشيد، وإنما لُقب بالمجنون، لأنه أفحم كلَّ لبيب وقطع حجة كل أديب، وكان لا يعي من الجواب، ولا يملّ من الخطاب.

فسمع بخراب بنيان قبر الحسين عليه السلام وحرث مكانه، فعظم ذلك عليه، واشتد حزنه، وتجدد مصابه بسيّده الحسين عليه السلام، وكان مسكنه يومئذ بمصر، فلما غلب عليه الوجد والغرام لحرث قبر الإمام عليه السلام خرج من مصر ماشياً صائماً على وجهه، شاكياً وجده إلى ربّه، وبقي حزيناً كئيباً حتى بلغ الكوفة.

وكان البهلول يومئذ بالكوفة، فلقيه زيد المجنون، وسلّم عليه فردّ عليه السلام، فقال له البهلول: من أين لك معرفتي فلم ترني قطّ؟

فقال زيد: يا هذا، إعلم أن قلوب المؤمنين جنود مُجنّدة، ما تعارف منها أئتلف، وما تناكر منها اختلف.

فقال له البهلول: يا زيد، ما الذي أخرجك من بلادك بغير دابة ولا مركوب؟

فقال: واللهِ ما خرجت إلا من شدة وجدي وحزني، وقد بلغني أن هذا اللعين أمر بحرث قبر الحسين عليه السلام وخراب بنيانه وقتل زوّاره، فهذا الذي أخرجني من موطني ونقّص عيشي، وأجرى دموعي وأقل هجوعي.

فقال البهلول: وأنّا واللهِ كذلك.

فقال له: قم بنا نمض إلى كر بلاء، لنشاهد قبور أولاد عليّ المرتضى.

قال: فأخذ كلٌ بيد صاحبه، حتى وصلا إلى قبر الحسين عليه السلام، وإذا هو على حاله لم يتغير، وقد هدموا بنيانه، وكلما أجروا عليه الماء غار، وحار واستدار بقدرة العزيز الجبار، ولم يصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين عليه السلام، وكان القبر الشريف إذا جاءه الماء يرتفع أرضه بإذن الله تعالى، فتعجب زيد المجنون ممّا شاهده، قال:

انظر يا بهلول، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

قال: ولم يزل المتوكل يأمر بحرث قبر الحسين عليه السلام مدة عشرين سنة، والقبر على حاله لم يتغير، ولا يعلوه قطرة من الماء.

فلما نظر الحارث إلى ذلك قال: آمنت بالله وبمحمد رسول الله واللهِ لأهربّن على وجهي، وأهيم في البراري، ولا أحرث قبر الحسين ابن بنت رسول الله، وإن لي مدة عشرين سنة انظر آيات الله، وأشاهد براهين آل بيت رسول الله، ولا أتّعظ ولا أعتبر.

ثم إنه حلّ الثيران وطرح الفّدان، وأقبل يمشي نحو زيد المجنون.

وقال له: من أين أقبلت يا شيخ؟ قال: من مصر.

فقال له: ولأي شئ جئت إلى هنا، وإنه لأخشى عليك من القتل.

فبكى زيد وقال: واللهِ قد بلغني حرث قبر الحسين عليه السلام، فاحزنني ذلك، وهيّج حزني ووجدي.

فانكبّ الحارث على أقدام زيد يقبّلهما، وهو يقول: فداك أبي وأمي، فو اللهِ يا شيخ من حين ما أقبلت إليّ أقبلتَ إليّ بالرحمة واستنار قلبي بنور الله، وإنّي آمنت بالله ورسوله، وإن لي مدة عشرين سنة وأنا أحرث هذه الأرض، وكلّما أجريت الماء إلى قبر الحسين عليه السلام غار وحار واستدار، ولم يصل إلى قير الحسين منه قطرة، وكأني كنتُ في سكرة، وأفقت ألان ببركة قدومك إليّ، فبكى زيد وتمثّل بهذه الابيات:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

فبكى الحارث وقال: يا زيد قد أيقظتني من رقدتي، وأرشدتني من غفلتي، وها أنا الآن ماضٍ إلى المتوكل بسر من رأى، أعرفّه بصورة الحال، إن شاء أن يقتلني وإن شاء أن يتركني.

فقال له زيد: وأنا أيضاً أسير معك إليه، وأساعدك على ذلك.

قال: فلما دخل الحارث إلى المتوكل، وخبّره بما شاهد من

بُرهان قبر الحسين عليه السلام استشاط غضباً، وإزداد بغضاً لأهل بيت رسول الله، وأمر بقتل الحارث، وأمر أن يشدّ في رجليه حبل، ويُسحب على وجهه في الأسواق، ثم يُصلب في مجتمع الناس، ليكون عبرة لمن اعتبر، ولا يبقى أحدٌ يذكر أهل البيت بخيرٍ أبداً.

وأما زيد المجنون، فإنه ازداد حزنه واشتدّ عزاؤه، وطال بكاؤه وصبر حتى أنزلوه من الصلب، وألقوه على مزبلة هناك، فجاء إليه زيد فاحتمله إلى الدجلة وغسّله وكفّنه وصلى عليه ودفنه، وبقي ثلاثة أيام لا يفارق قبره، وهو يتلو كتاب الله عنده، فبينما هو ذات يوم جالسٌ، إذ سمع صراخاً عالياً، ونوحاً شجياً، وبكاء عظيماً، ونساء بكثرة منشورات الشعور، مشققات الجيوب، مسوّدات الوجوه، ورجالاً بكثرة يندبون بالويل والثبور، والناس كافة في اضطراب شديد، وإذا بجنازة محمولة على أعناق الرجال، وقد نُشرت لها الأعلام والرايات، والناس من حولها أفواجاً، قد انسدّت الطرق من الرجال والنساء.

قال زيد: فظننت أن المتوكل قد مات، فتقدمت إلى رجلٍ، وقلت له: من يكون هذا الميت؟

فقال: هذه جنازة جارية المتوكل، وهي جارية سوداء حبشية وكان اسمها ريحانة، وكان يحبها حباً شديداً، ثم إنهم عملوا لها شأناً عظيماً ودفنوها في قبر جديد، وفرشوا فيه الورد والرياحين، والمسك والعنبر، وبنوا عليها قبّة عالية، فلما نظر زيد إلى ذلك ازدادت أشجانه، وتصاعدت نيرانه، وجعل يلطم وجهه ويمزّق أ طماره، ويُحثي التراب على رأسه، وهو يقول:

وا ويلاه، وا أسفاه عليك يا حسين، أتقتل بالطف غريباً وحيداً

ظمآناً شهيداً، وتُسبى نساؤك وبناتك وعيالك وتذبح أطفالك، ولم يبكِ عليك أحدٌ من الناس، وتُدفن بغير غسل ولا كفن، ويُحرث بعد ذلك قبرك ليطفئوا نورك، وأنت ابن علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء، ويكون هذا الشأن العظيم لموت جارية سوداء، ولم يكن الحزن والبكاء لإبن محمد المصطفى.

قال: ولم يزل يبكي وينوح، حتى غشي عليه والناس كافة ينظرون إليه، فمنهم من رقّ له، ومنهم من جنى عليه، فلما أفاق من غشوته، أنشد يقول:

أيحرث بالطف قبر الحسين | ويعمر قبر بني الزانيه
لعّل الزمان بهم قد يعود | ويأتي بدولتهم ثانيه
ألا لعن الله أهل الفساد | ومن يأمن الدُّنية الفانيه

قال: إن زيداً كتب هذه الأبيات في ورقة وسلّمها لبعض حجاب المتوكل.

قال: فلما قرأها اشتدّ غيظه وأمر باحضاره، فأحضر وجرى بينه وبينه من الوعظ والتوبيخ ما أغاظه حتى أمر بقتله.

فلمّا مُثّل بين يديه سأله عن أبي تراب، من هو؟ استحقاراً له.

فقال له: والله إنك عارف به، وبفضله وشرفه، وحسبه ونسبه، فواللهِ ما يجحد فضله إلا كلّ كافر مرتاب، ولا يبغضه إلا كلّ منافق كذّاب، وشرع يُعدّد فضله ومناقبه، حتى ذكر منها ما أغاظ المتوكل، فأمر بحبسه فحبس.

فلما أسدل الظلام وهجع، جاء إلى المتوكل هاتف، ورفسه برجله، وقال له: قم وأخرج زيداً من حبسه، وإلا أهلكك الله

عاجلاً، فقام هو بنفسه، وأخرج زيد من حبسه، وخلع عليه سنيه، وقال له: أطلب ما تريد.

قال: أريد عمارة قبر الحسين‹عليه السلام› وأن لا يتعرض أحد لزواره، فأمر له بذلك.

فخرج من عنده فرحاً مسروراً وجعل يدور في البلدان، وهو يقول:

من أراد زيارة الحسين‹عليه السلام› فله الأمان طول الأزمان).

أقول: بالاضافة إلى هذه الأخبار ما تقدم في أول هذه الفقرة من خبر تسلية المجالس

ومفاده أن المتوكل أمر بهدم القبر الشريف، وهدم ما حوله من المنازل والدور على بعد مائتي جريب، ولم تجرأ الفعلة على ذلك حتى أقدم الديزج على هدم أعالي القبر الشريف، فاقدم الفعلة على هدم البقية، وأحرق الصندوق الذي كان على القبر، وانخسف مكانه حتى صار كالخندق.

وبقي للقبر رائحة طيبة لا تشبه شيئاً من روائح الدنيا،وكان ذلك في سنة (٢٣٦) كما هو المشهور بين المؤرخين.

نعم على قولٍ كما في المنتظم أنه في سنة (٢٣٨)، وفي حديث أمالي الطوسي رقم (١٠٣) أنه في سنة (٢٣٧) ونُقل عن طبقات الشافعية وأخبار الدول.

ويستفاد من خبر الأمالي رقم (١٠٣) أنه في سنة (٢٤٧) وهي سنة وفاة المتوكل أمر بنبش القبر وحرث أرضه بعد علمه بتوافد الشيعة إلى القبر للزيارة.

ويبقى السؤال: أنه إذا تم الهدم سنة (٢٣٦) ومُنع الزوار وأقيمت المسالح مدة خلافة المتوكل فكيف تم البناء وكثُر الزوار وأقاموا سوقاً حول القبر حتى يأمر المتوكل بالهدم مرة أخرى سنة(٢٤٧)، ومنه تعرف ضعف من ذهب إلى أن الهدم تمّ مرتين على يد المتوكل، وأضعف منه أن الهدم تم أربع مرات سنة (٢٣٢) وسنة(٢٣٦) وسنة (٢٣٧)، وسنة (٢٤٧) كما ذهب إليه عبد الجواد كليدار في كتابه (تاريخ كر بلاء).

وأما خبر زيد وبهلول المروي في البحار ففيه غرابة إذ زيد المجنون خرج من مصر لما سمعه من خراب بنيان القبر الشريف ولما وصل إلى الكوفة والتقى بالبهلول، أجاب بهلولاً عندما سأله عن سبب قدومه: بأن الذي أخرجه هو أمر المتوكل بالهدم، وطلب منه أن يذهب إلى كر بلاء ليشاهدا القبور، وهذا دال على عدم الهدم حينئذ.

وغرابة أخرى أن المتوكل أمر بحرث القبر مدة عشرين سنة ومدة خلافة المتوكل خمس عشرة سنة تقريباً.

الزيارة في زمن المتوكل

يستفاد من الأخبار المتقدمة أنه أمر بمنع الناس من الزيارة، وأن عامل صاحب الشرطة نادى: من وجدناه بعد ثلاثة أيام حبسناه في المطبق، فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه، ثم بعد الهدم ووضع المسالح على الطرق المؤدية إلى القبر، كانوا لا يجدون أحداً زاره أو بقصد زيارته إلا قتلوه، أو أنهكوه عقوبة، أو بعثوه إلى المتوكل ·

وكان بين كل مسلحتين ميل، وقد شدّد المنع عن زيارة قبر امير المؤمنين عليه السلام في الغري بالنسبة لأهل الكوفة ولغيرهم من الشيعة أيضاً.

من هو المتوكل

المتوكل: جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

يُكنى: أبا الفضل، لقبه: المتوكل على الله.

بويع بالخلافة وقت الزوال من يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢للهجرة وسنُّه ست وعشرون سنة يومئذ، وقُتل لأربع خلون من شوال سنة ٢٤٧، فعمره أربعون سنة، ومدة خلافته: أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام.

وقيل: مدة خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام، وكان أسمر، حسن العينين، نحيف الجسم، خفيف العارضين، وكان إلى القصر أقرب، كما في تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٧٦ ـ ١٨١.

قال عنه سيد أمير علي في (مختصر تاريخ العرب) ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥:

(عندما تُوفى الواثق رغب القاضي الأكبر والوزير وسائر كبار رجال الدولة أن يرفعوا إبنه الصغير إلى مدة الخلافة، غير أن "وصيفاً " التركي عارض في ذلك، لأن القلنسوة والدّراعة والصولجان كانت

أثقل من أن يحملها الولد، ولذلك انتخبوا جعفراً أخا الواثق، ولقبوه بالمتوكل على الله.

وقد كانت مدة خلافة " نيرون العرب " هذا خمس عشرة سنة، وفي عهده بدأ إنحلال الأمبراطورية وسقوطها، إذ كان غارقاً في الفسق والفجور، لا يكاد يصحو من السكر، ومع ذلك فقد كان عظيم الإهتمام بإعادة المذهب التقليدي، فأصدر أمره بمنع المناظرات والمباحثات، وبالتمسك بالمبادئ والتعاليم القديمة أو التقليد، وأقصى رجال الفكر عن المناصب العامة، ومنع المحاضرات التي كانت تلقى في العلم والفسفة، وذهب إلى حد أنه زج في السجن القاضي أبا داوود وولده، وكانا من المشاهير المعتزلة، صادر أملاكهما، غير أن أضطهاد المتوكل لم يقتصر على رجال الفكر وحدهم، بل تعداهم إلى غير المسليمن " الذميين " الذين قاسوا الأمرين على يديه، وأقصوا هم أيضاً عن وظائف الدولة.

وقد بلغ به كرهه للخلفية علي بن أبي طالب وآل بيته أنه هدم قبر الشهيد الحسين، وحوّل عليه مجرى من الماء، ومنع الناس من زيارته، تحت طائلة العقاب الأشد، كما أمر بمصادرة أرض "فدك" من جديد.

وأعدم ابن الزيات، وزير الواثق، لأنه لم يظهر نحوه قدراً كافياً من الاحترام، قبل أن يعتلي سدة الخلافة.

وقد اغتنم الروم فرصة هذه الفوضى التي عمت الأمبراطورية، واستأنفوا غزواتهم فأحرقوا دمياط في مصر، ثم أغاروا على كليكية، وأسروا منها عشرين ألف شخص، ذبحت منهم الأمبراطورة " ثيو دورة " أثنى عشر ألفاً، بعد أ، مثّلت بهم أشنع تمثيل، ولم ينج منهم

إلا أولئك الذين اعتنقوا المسيحية.

وأخيراً بلغ سلوك المتوكل حداً لا يطاق، فتآمر عليه القواد الأتراك، وعزموا على الفتك به، ويقال: إن ابنه المنتصر لم يكن راضياً عن جور أبيه، وأنه كان على علم بالمؤامرة.

وهكذا بينما كان " نيرون العربي " غارقاً في نشوة الخمرة، فاقد الوعي دخل عليه المتآمرون وفتكوا به.

وقد اشتهر بشيئين: بغضه لعلي وبنيه عليهم السلام، واشتغاله باللهو وانغماسه بالشهوات وشرب الخمر.

فسقه

قال الذهبي في تاريخ الاسلام ص ١٣٢ ـ ١٣٣:

(وقد أحيى السنة، وأمات بدعة القول بخلق القرآن، ولكنه في نصب وانهماك على اللهو والمكاره).

وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٥ ص ٣٧، عن حاله ليلة مقتله، عن البحتري:

(وسكر المتوكل سكراً شديداً، قال: وكان من عاداته أنه إذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه، قال: فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل، إذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الأتراك، وهم ملتثمون والسيوف في أيديهم تبرق في ضؤ تلك الشمع، فهجوا علينا وأقبلوا نحو المتوكل، حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير، فصاح بهم الفتح: ويلكم مولاكم.

فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضراً من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم، فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح، وهو يحاربهم ويمانعهم.

قال البحتري: فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر السيف الذي كان المتوكل دفعه إليه على جانبه الأيمن، فقده إلى خاصرته ثم

ثناه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك).

وفي مروج الذهب أيضاً ج ٥ ص ١٣/١١، بإسناده عن المبرد، قال:

(قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب؟

قال: وما يقول ولد أبي ـ يا أمير المؤمنين ـ في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه، وافترض طاعته على بنيه؟

فأمر له بمائة ألف درهم، وإنما اراد أبو الحسن ـ الهادي ـ طاعة الله على بنيه فعرض.

وقد كان سُعي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل، وقيل له: إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، فوجه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره، فوُجد في بيتٍ، وحده مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد.

فأخذ على ما وجد عليه، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكل يشرب، وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شئ مما قيل فيه، ولا حالة يُتعلل عليه بها.

فناوله المتوكل الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه، فأعفاه، وقال: أنشدني ـ وفي

الهامس: رواية عبد الحميد: أنشدني شعراً استحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للأشعار، فقال: لا بد أن تنشدني ـ فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القُلَلُ
واستُترلوا بعد عز من معاقلهمْ فاودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمّروا دوراً لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: وأشفق كل من حضر على علي، وظنوا أن بادرة ستبدر منه إليه، قال:

والله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً، حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب.

ثم قال له: يا أبا الحسن، أعليك دين؟

قال: نعم، أربعة الآف دينار.

فأمر بدفعها إليه، ورده إلى منزله، من ساعته مكرماً).

ولا يتوهم أن المتوكل تاب عن شرب الخمر، بدليل شربها ليلة مقتله وغيرها من الليالي كما يظهر من مراجعه مروج الذهب وغيره، نعم أنوار الإمامة المتجلية على وجه أبي الحسن الهادي عليه السلام هي التي أثرت في قلب هذا الكافر السكير فترك شرب الخمر في هذه الواقعة بعدما عرضه على الإمام عليه السلام جرأة واستخفافاً بمقامه عليه السلام.

نُصبه

في تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٨٩، في ترجمة نصر بن علي الجهضمي بإسناده عن نصر بن علي المذكور قال:

(أخبرني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي، حدثني أخي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن حسين، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين، فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

قال أبو عبد الرحمان عبد الله ـ الراوي عن نصر ـ : لما حدث بهذا الحديث نصر بن علي أمر المتوكل بضربه ألف سوط، وكلمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه، وكان له أرزاق فوفرها عليه موسى.

قلت ـ أي الخطيب البغدادي ـ : إنما أمر المتوكل بضربه، لأنه ظنه رافضياً، فلما علم أنه من أهل السنة تركه).

ولاحظ تعليل البغدادي، فهل الرفض الذي هو تشيع لعلي عليه السلام موبقة ومعصية وكبيرة حتى يستحق عليها ألف سوط، ثم إن الخبر صريح في أن المتوكل أمر بضربه لأنه حدّث بحديث فيه فضيلة لعلي

وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهذا كاشف عن شدة بغضه لعنه الله.

وفي العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل للسيد محمد بن عقيل ص ١٤٤ ـ ١٤٥:

(وقال ابن الشحنة في روض الناظر: أنه في سنة ٢٤٤ سأل المتوكل يعقوب بن السكيت، إمام النحو واللغة: أيما أحب إليك، إبناي المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين؟

فقال: والله إن قنبراً خادم علي خير منك ومن إبنيك.

فأمر به، فسُلّ لسانه من قفاه، فمات لساعته).

وفي الغدير للأميني ج ٤ ص ١٤٠:

(إن القصيدة النونية المذكورة إنما هي لأبي محمد عبد الله بن عمّار البرقي، أحد شعراء أهل البيت، وشي به إلى المتوكل، وقرئت له نونيته، فأمر بقطع لسانه، وإحراق ديوانه، ففعل به ذلك، ومات بعد أيام، وذلك سنة ٢٤٥، ومن النونية قوله) وذكر شيئاً منها.

وفي أعيان الشيعة ج ٤ ص ٩٣ ـ ٩٤، في ترجمة جعفر بن حسين:

(ذكره القاضي أبو المكارم، محمد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن جرادة الحلبي في شرح قصيدة أبي فراس، الميمية المعروفة بالشافية، فإنه حكى فيه عن مروان بن أبي حفصة، أنه قال:

أنشدت المتوكل شعراً، ذكرت فيه الرافضة، فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع علي أربع خلع في دار العامة، والشعر هو هذا:

لكم تراث محمد وبعدلكم تنفي الظلامه
يرجوا التراث بنو البنا ت وما لهم فيه قلامه
والصهر ليس بوارث والبنت لا ترث الإمامه
ما للذين تنحلّوا ميراثكم إلا الندامه
أخذ الوارثة أهلها فعلامَ لومكم علامه
لو كان حقُّكم لها قامت على الناس القيامه
ليس التراث لغيركم لا والإله ولا كرامه
أصبحت بين محبكم والمبغضين لكم علامه

فرد عليه رجل، يقال له: جعفر بن حسين بهذه الأبيات وهي:

قل للذي بفجوره في شعره ظهرت علامه
ويبيع جهلاً دينه لمضلل يرجو حطامه
من أين أنت لعنت؟ أو من أين أسرار الإمامه
أظننتها إرث النبي فما أصبت ولا كرامه
إن الإمامة بالنصو ص لمن يقوم بها مقامه
كمقاله في يوم خم لحيدر لما أقامه
من كنت مولاه فذا مولاه يسمعهم كلامه
سل عنه ذا خبر به فلتذهبنّ إذاً ندامه
فهو الذي بحسامه للنقع قد جلى قتامه
في يوم بدرٍ إذ شكا سدات مالككم صدامه
وأنين والدهم وقد منع النبي به منامه
إن الإمام لدينا مَنْ شاده وبنى دعامه
في كل معترك إذا شبّ الوغى أطفى ضرامه
فتّاح خيبر بعدما فرّ الذي طلب السلامة

تالله لو وزن الجميع لما وفوا منه القلامه)

وأورد الأبيات من دون ردها الطبري في تاريخه ج ٩ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١، وأولها:

(ملك الخليفة جعفر للدين والدنيا سلامه
لكم تراث محمد إلى آخر الابيات...)

هذا بالاضافة إلى ما تقدم من استخفافه بأمير المؤمنين عليه السلام ورقص عبادة المخنث بين يديه بذلك البيت، ومنه تعرف ضعف التضعيف في قول القضاعي في كتابه لإنباء ص ٢٩٢:

(ويقال: إنه كان يغلو في بغض علي عليه السلام).

والعجب من القضاعي من عدم الجزم بعد اشتهار نصب المتوكل في كل الكتب التاريخية وغيرها.

مع تشديده على آل أبي طالب، قال أبو الفرج الأصفهاني في مقالته ص ٣٩٦ عن المتوكل:

(واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشئ وإن قل إلا أنهكه عقوبة،وأثقله غرماً.

حتى كان القميص يكون على مغازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل، فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم، ووجه فرقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ومضادة مذهبه طعناً عليه ونصرة لفعله).

فضلاً عن أن المتوكل بعدما تولى الخلافة أخذ فدكاً من يد بني

هاشم بعد ما ردها إليهم المأمون سنة ٢١٠، راجع الغدير ج ٧ ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

زد على ذلك هدمه قبر سيد الشهداء عليه السلام على ما تقدم نقله من كتب المؤرخين.

بل تعرض للهدم جماعة من الشعراء المعاصرين للمتوكل وبعده، منهم:

ابن الرومي الذي ولد سنة (٢٢١) وتوفي سنة (٢٨٣أو ٢٨٤) على ما في مقدمة ديوانه ج ١ ص ٧ ـ ٩.

فقد رثى بقصيدةٍ أبا الحسن، يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عندما قتل، مطلعها:

(أمامك فانظر أي نهجيك تنهج ... طريقان شتى: مستقيم وأعوج
ألا أيهذا الناس: طال ضريركم ... بآل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا
أكُلَّ أوان للنبي محمد ... قتيل زكي بالدماء مضرج

إلى أن خاطب بني العباس بقوله ـ :

أفي الحق أن يمسوا خماصاً وانتم ... يكاد أخوكم بطنه يتبعج
تمشون مختالين في حجراتكم ... ثقال الخطا أكفالكم تترجرج
وليدهم بادى الطوى ووليدكم ... من الريف ريان العظام خَدَلّجُ
تذودنهم عن حوضهم بسيوفكم ... ويشرع فيه أرتبيل وأبلج
فقد ألجمتهم خيفة القتل عنكم ... وبالقوم حاج في الحيازم حُوّجُ
بنفسي الألي كظتهم حسراتكم ... فقد علزوا قبل الممات وحشرجوا
ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم ... كلابكم منها بهيم وديزج)

إلى آخر الأبيات، راجع ديوانه ج ١ ص ٣٠٥ ـ ٣١٠، ومقاتل

الطالبين ص ٤٢٤ ـ ٤٢٩.

والديزج هو الذي كان نبش قبر الحسين عليه السلام في أيام المتوكل، ومنع الناس من الزيارة إلى أن قتل المتوكل، كما في مقاتل الطالبين ص ٤٢٨، عندما أورد البيت الأخير.

هذا و(خدلج): ممتلئ اليدين والساقين، و(أرتبيل ورتج) أراد بهما الترك والفرس، و(علزوا) أخذهم الغيظ.

ومنهم: أبو فراس الحمداني ولد سنة (٣٢٠) وتوفي (٣٥٧) على ما في مقدمة ديوانه ص ٥، قال قصيدة يعارض بها قصيدة ابن سكرة التي يفتخر بها على الطالبين، مطلعها:

(الدين مخترم والحق مهتضم ... وفيءُ آل رسول الله مقتسم

ـ إلى أن قال ـ:

بنو علي رعايا في ديارهم ... والأمر تملكه النسوان والخدم

ـ وقال مخاطباً بني العباس ـ :

أتفخرون عليهم، لا أباً لكم ... حتى كأن رسول الله جدكم
وما توازن يوماً بينكم شرف ... ولا تساوت بكم في موطنٍ قدم
ولا لكم مثلهم في المجد متصل ... ولا لجدكم مسعاة جدهم
ولا لعرقكم من عرقهم شَبَهٌ ... ولا نفيلتكم من أمهم أمم
قام النبي بها يوم الغدير لهم ... والله يشهد والاملاك والامم

ـ إلى أن قال ـ :

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت ... تلك الجرائر إلا دون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة ... وكم دم لرسول الله عندكم

ـ إلى أن قال ـ :

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا   مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم
ذاق الزبيري غيث الحنث وانكشفت   عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته   وأبصروا بغضَ يومٍ رشدّهم وعَموا
يا عُصبةً شقيت من بعد ما سعدت   ومعشراً هلكوا منّ بعد ما سلموا
لبئس ما لقيت منهم وإن بليت   بجانب الطف تلك الأعظم الرممُ)

راجع ديوانه ص ٢٥٥ ـ ٢٥٩.

ومحل الشاهد البيت الأخير، ومعناه أن العظام البالية وإن بليت تحت التراب إلا أنها لقيت من بني العباس ما لقيت، وفي هذا إشارة إلى نبش بني العباس لعظام آل البيت عليهم السلام المدفونة بجانب الطف أي في كربلاء.

ومنهم: أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام، الشاعر المشهور بـ (البسامي) ولد سنة (٢٣٠) وتوفى (٣٠٣)، قال عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦٥:

(ولما هدم المتوكل قبر الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، في سنة ست وثلاثين ومائتين عمل البسامي:

تالله إن كانت أميّة قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله   هذا لعمرك قبره مهدوما
أسِفوا على أن لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما

وكان المتوكل كثير التحامل على عليّ وولديه الحسن والحسين، رضي الله عنهم أجمعين، فهدم هذا المكان بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به، وأمر أن يُبذر ويُسقى موضع قبره، ومنع الناس من إتيانه).

وقد تقدم كلام الكتبي في فوات الوفيات ج ١ ص ٢٩٣ أنه ردّد هذه الأبيات بينه وبين ابن السكيت المتوفى سنة (٢٤٤) على يد المتوكل، وفي أمالي الطوسي ص ٣٢٩، حديث (١٠٤) من المجلس الحادي عشر، أسندها إلى عبد الله بن دانية الطوري، وأنه قالها بعد من زار كربلاء بعد الحج في سنة (٢٤٧) سنة مقتل المتوكل، وأنه رأى بعينه كيفية حرث الأرض ومخر الماء فيها وأن الثيران لم تطأ القبر، ولم يمكنه الزيارة فرجع إلى بغداد (وأنا أقول في ذلك) كما هو نص الخبر وذكر الأبيات الثلاثة، والثالث: (أسِفوا على أن لا يكونوا شايعوا).

ونقله عنه ابن شهر أشوب في مناقبه ج ٤ ص ٦٥، والمجلسي في بحاره ج ٤٥ ص ٣٩٧.

تم الفراغ من تحريره في يوم الثلاثاء الواقع فيه ١٤ رجب ١٤٢٢ هـ الموافق لـ ٢ تشرين الأول سنة ٢٠٠١.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد حسن ترحيني العاملي

عبّا ـ لبنان

الفهرس